التشيع ومخاطر الانصهار | الهوية الجنسية للدماغ وتهافت الفكر النسوي | من تاريخ التسنن في العراق



www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٦ ذو الحجة ١٤٣٤هـ

السذاجة العربية و المكر الإيراني

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٦)
ذو الحجة- ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المكر الإيراني والسذاجة العربية

تتصاعد التحذيرات والاستنكارات في الصحافة العربية من خطورة التقارب الإيراني الأمريكي مؤخراً، وذلك بعد سماح المرشد الإيراني علي خامنئي بفوز حسن روحاني بمنصب رئاسة الجمهورية، ومن ثم إطلاقه لسياسة (المرونة البطولية)!

وهذا التدوير في السياسة الإيرانية حاليا يشبه إلى حد كبير مرحلة فوز الرئيس السابق محمد خاتمي سنة ١٩٩٧ والذي جاء بشعار (الانفتاح الثقافي)، وفعلا نجح خاتمي في الانفتاح الإيراني على عدد من الدول مما حقق مكاسب صافية لإيران، دون أن تخسر شيئا، لكن الذي حصل أن إيران جمدت مطالب جيرانها والعالم تجاهها، بانتظار نتائج الانفتاح الثقافي الذي بشر به خاتمي، وكانت النتيجة في النهاية وعودا زائفة وشراءً للوقت لتحقيق مكاسب على الأرض لتكون أمراً واقعاً فيما بعد!

ويبدو أن إيران نجحت في تحويل أزمتها الخطيرة في سوريا إلى فرصة لتحقيق المكاسب، فهي عانت وضعاً صعباً جداً في مشاركتها الإجرامية ضد الثورة السورية، فانفضحت أطماعها وطائفيتها وانفض عنها كثير من المخدوعين، ولكن هذا لم يؤثر فيها، إذ عملت على إطالة أمد الأزمة وتصعيدها، حتى تبحث عن خطة تتجاوز بها الأزمة.

وفعلاً، وجدت إيران الخطة اللازمة وهي:

- دعم النظام السوري المتواصل والمشاركة الفعلية معه.
- إبقاء الاتصالات بالمعارضة والثوار قائمة، حتى وهي تقصفهم، ولذلك دعت إيران أكثر من مرة الثوار لزيارتها والتباحث معها، ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس محمد مرسي بلجنة رباعية (مصر، السعودية، تركيا، إيران).
- العمل على تفريق صف الثوار وجنوحهم للعنف والتطرف والإرهاب، فسهلت عبور القاعدة من العراق لسوريا، بواسطة الحكومة العراقية وأجهزتها الأمنية.
- محاولة تفريق صف الداعمين للثورة، فعرض العراق على الأردن ومصر البترول، وحاولت إيران إغراء تركيا بتسهيلات تجارية إيران والعراق!
- نقل المعركة والصراع للدول الداعمة للثورة، فرأينا التفجيرات في تركيا، والقلاقل في لبنان، وسمعنا التهديدات للخليج والأردن.
- ثم كان لا بد من تحييد الموقف الدولي وإشغاله بالجائزة الكبرى، وهي احتمال التفاهم مع إيران، وذلك عبر تغيير سياستها الخارجية مع تغير الرئيس الإيراني.

ويبدو أن هذه الخطوات نجحت في كشف الثورة السورية فصفّ الثوار تفرق – وتلوح بشائر وحدة الثوار الآن من جديد- والدعم تقلص، والتدخل الدولي تراجع، والاهتمام في تناقص، والشتاء على الأبواب، والعالم اليوم يتابع تحركات

روحاني واتصال أوباما به، ونتائج ذلك.

وفي نفس الوقت أصبحت دول الخليج تشعر بحالة من القلق من احتمالية قيام صفقة تاريخية بين أمريكا وإيران تدفع ثمنها دول الخليج، وهذا ظهر من مقايضة روحاني أمريكا، في مقاله بالصحافة الأمريكية حل قضية سوريا بالبحرين!

ومع شعور دول الخليج بهذا القلق من أطماع إيران وخيانة أمريكا، فإنها تعاني من انقسام حاد بين الإسلاميين وهم التيار العريض فيها، وبين العلمانيين المتنفذين على قلتهم، وذلك بسبب الموقف من الانقلاب العسكري في مصر على حكم الرئيس المنتخب محمد مرسي.

هذا الانقسام الحاد في دول الخليج تستثمره إيران بذكاء، فبدلاً من وحدة الصف تجاه المطامع الإيرانية الأمريكية، ينشغل الصف الخليجي بالتنازع على الانقلاب في مصر.

والعجيب أن أنصار إيران وأصدقاءها في مصر - كحمدين صباحي وكمال الهلباوي والمتشيعين- مع الانقلاب العسكري على حكم الإخوان المسلمين، فكأن علمانيي الخليج وحكامه يتحالفون مع أنصار إيران في مصر! والذين هم انصار بشار الأسد، والذي يحاربه الخليج !

وفي المقابل نجد جماعة الإخوان المسلمين أو بعضهم كإخوان الأردن وحركة حماس يدعون للتحالف مع إيران وأذنابها كحزب الله لمقاومة الانقلاب في مصر وتبعاته!

وتكون النتيجة أن إيران تجمع كلمتها خلف روحاني، وتتبنى المرونة البطولية، وتنفتح على الشيطان الأكبر، وتلوح له بجزرة التفاهم والاعتدال، بينما العرب تتفرق كلمتهم في صراعات داخلية، تصب كلها في مصلحة إيران، فالعلمانيون والحكام الخليجيون يدعمون أنصار إيران لحكم مصر، ويقدمونها على طبق من ذهب لها! مما يشق الصف الوطني ويبعثر الطاقات، والإخوان بدلاً من التصدي للأطماع الإيرانية يقومون بالتحالف معها، في الوقت الذي تتحالف فيه إيران مع أمريكا!

وإيران تتفرج على هذا الحال البائس للعرب وتفرك يديها فرحاً، وتمضي في محاولة عقد زواج متعة جديد مع أمريكا والنقاش يدور حول المدة والأجرة!

كيف نتجاوز السذاجة ونتجنب المكر؟

هذا هو ما يجب أن يشغل العقلاء والمخلصين، وهذا لا يكون إلا بترك الانقسام من جهة، وبترك المصالح الجزئية والشخصية والحزبية، وذلك عبر التوحد على أسس مشتركة هي:

- نجاح الصفقة الإيرانية الأمريكية خسارة للجميع في العالم العربي.
- لا يمكن مقاومة هذه الصفقة ونحن بهذا الحال من الصراع.
- لنتنازل لبعضنا البعض بدلاً من التنازل لأحد الطرفين الإيراني أو الأمريكي.
- لنعمل على حل مشكلة مصر بأسرع وقت، وبما يرضي الطرفين.
- نحتاج إلى إعادة بناء الثقة بين الطرفين، عبر مواقف جديدة ومتينة.
- لا نملك الكثير من الوقت، فلنحرص على عدم إضاعته.

وكلمة أخيرة، لا يمكن صد الأطماع الإيرانية عبر ثقافة الترفيه والانحلال، كما لا يمكن حماية المقاومة وتحرير الأقصى بالتحالف مع الطائفيين المجرمين!!

١٨- العلامة المحقق محب الدين الخطيب (١٣٠٣/١٣٨٩هـ- ١٨٨٦/١٩٦٩م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

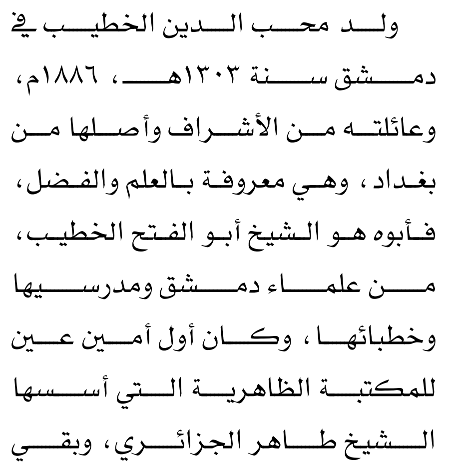
تمهيد:

لا يضر محبّ الدين أن كثيرا من الناشئة والعامة بل والخاصة لا يعرف له قدره ودوره، فهو آثر دوماً أن يكون في الصف الخلفي والمتواري، رغم أنه كان يستطيع وبكل سهولة أن يكون محط الأنظار وصاحب القرار، لكنه منذ نشأ وهو يعي أهمية الإخلاص للنجاح وأن القضية نهضة أمة وليست مكانة فرد، وعلى هذا ربى أبناءه وأخوانه.

يكاد محب الدين أن يكون الجندي المجهول في ظهور الصحوة الإسلامية المعاصرة، فهو صاحب التجربة والخبرة الطويلة مع العلم والحكمة، والتي منحها للجيل التالي الذي كان على رأسه الأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، ومن آخرهم الشيخ محمد إسماعيل المقدم الأب العلمي للدعوة السلفية بالإسكندرية، ويكفينا شهادة الشيخ زهير الشاويش وهو المؤرخ النبيه للتاريخ المعاصر فيقول عن محب الدين: «وبقي حتى وفاته لولب الحركات الإسلامية في مصر»، وقال عنه عبد الغني العطري: «شعلة من الحيوية والذكاء، والغيرة على العروبة، وكان قبل هذا من أكبر الدعاة للإسلام في العصر الحديث».

لعب محب الدين أدواراً إصلاحية متعددة ومتميزة، وذلك بما حباه الله من شخصية فريدة وعقلية علمية منظمة.

مولده ونشأته:



ولد محب الدين الخطيب في دمشق سنة ١٣٠٣هـ، ١٨٨٦م، وعائلته من الأشراف وأصلها من بغداد، وهي معروفة بالعلم والفضل، فأبوه هو الشيخ أبو الفتح الخطيب، من علماء دمشق ومدرسيها وخطبائها، وكان أول أمين عن للمكتبة الظاهرية التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري، وبقي مسؤولاً عنها حتى وفاته، كما أن جده الشيخ عبدالقادر الخطيب كان من علماء دمشق.

تعرض محب الدين لليتم مبكراً، فقد توفيت والدته وعمره ٧ سنوات وذلك أثناء عودتها من الحج ودفنت في الطريق بين مكة والمدينة، فتولاه والده برعايته واهتمامه، ولكنه سرعان ما توفي أيضاً

(*) كاتب أردني.

بعد ٥ سنوات من وفاة أمه.

تعلم محب الدين مبكراً القراءة والكتابة وتلاوة القرآن قبل ذهابه للحج، وبعد رجوعه لدمشق ألحقه أبوه بالتعليم الابتدائي واختار له أفضل مدرسة وهي مدرسة الترقي النموذجية، والتي كانت تتشارك مع المكتبة الظاهرية في نفس البناء الكبير، وهذا وثق علاقة محب الدين بأبيه وبالمكتبة الظاهرية مبكراً، فهو كان يرافق أباه كل صباح للمدرسة، وأيضاً في ساعة الظهر يعود لأبيه فيتغدى معه، وفي المساء يعود مع معه للبيت.

وبعد أن تخرج بتفوق من المرحلة الابتدائية، ألحقه أبوه بالتعليم الثانوي في المدرسة الوحيدة في دمشق وهي مشهورة باسم «مكتب عنبر» التي تخرج منها فطاحلة الشام، ولكن بعد سنة من التحاقه بها توفي أبوه، وتيتم محب الدين وعمره ١٣ سنة، فرأى أهله أن يترك المدرسة ويمضي في طلب العلم الشرعي كأبيه، فقضى سنتان يدرس على علماء الأسرة وغيرهم، وكانت ترعاه أخته الكبيرة.

عناية الشيخ طاهر الجزائري بمحب الدين:

يقول الخطيب في مذكراته: «ثم قيّض الله لهذا اليتيم الضعيف أستاذاً في أسمى مراتب الإنسانية، فأخذ بيده، وأحسن توجيهه في الطريق الذي هداه الله إليه في الحياة..، فهو أبوه الروحي»، ويبدو أن الشيخ طاهر في تلك السنتين كان خارج دمشق، فلما عاد وعلم بوفاة صديقه أبي الفتح، سعى لدى مديرية أوقاف دمشق بصفته المفتش العام للدولة العثمانية على دور الكتب، على تكليف الولد بوظيفة أبيه على أن ينوب عنه من يقوم بالعمل حتى يبلغ سن الرشد، وفي فترة انتظار ابتداء الدراسة كلفه الشيخ طاهر بنسخ بعض مخطوطات الظاهرية لأئمة الإسلام كابن تيمية وأضرابه لتتوسع مداركه وينتفع علمياً وتتنوع ثقافته ويستفيد مالياً بأجرة النسخ، ولا تزال هناك مخطوطات بخط محب الدين في فتوّته في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية، وهذا يدل على العلاقة الوثيقة والعميقة لمحب الدين بالعلم وبالسلفية وبالمخطوطات منذ حداثة سنه، وليس بسبب علاقته بالدولة السعودية أو الوهابية.

ثم حثه الشيخ طاهر على العودة للدراسة في مكتب عنبر، ومدة الدراسة فيها سبع سنوات، والدراسة فيها باللغة التركية حتى اللغة العربية كانت تدرس بالتركية! وبقي محب الدين يدرس في مكتب عنبر حتى السنة السادسة، إذ ضُبط محب الدين يطالع في داخل الفصل كتاباً سياسياً ممنوعاً، فيه قصائد لبعض الأتراك المناهضين للاستبداد الحميدي، فعمل لمحب الدين محضر تحقيق، ووقفت الإدارة ضده وعملت على رسوبه، لكنها لم تفلح، فتقدم بطلب انتقال إلى مدرسة بيروت الثانوية، فأكمل دراسته فيها وتخرج من الثانوية سنة ١٩٠٥م.

وسبب مطالعته لهذه الكتب الممنوعة أنه بأمر من الشيخ طاهر كان يتردد على مدرسة عبدالله عند الأستاذ أحمد النويرتي لتعلم العربية، والذي قرأ عليه ألفية ابن مالك، واتقن تلاوة القرآن واستفاد من أخلاقه وخبرته بالناس وكيفية التعامل معهم، وأيضاً في هذه المدرسة كان هناك غرفة للعلامة جمال الدين القاسمي يلتقي فيها تلاميذه ومنهم أخوه الصغير صلاح الدين القاسمي صديق العمر لمحب الدين، فكانوا يحضرون بعض مجالسه، وأيضاً كان للشيخ طاهر غرفة يلتقي فيها أصحابه وخلانه، والذين كان لهم حلقة تعرف بحلقة دمشق تضم رواد الفكر والإصلاح كالشيخ طاهر والقاسمي والشيخ عبدالرزاق البيطار ومحمد كرد علي وسليم البخاري وغيرهم، كان محب الدين الاستثناء بينهم لصغر سنه، وكانت هذه الحلقة هي المحضن الأساس لصقل شخصية

ومنهجية محب الدين باتجاه الالتزام بالإصلاح الديني والشامل لكل مناحي الحياة، وضرورة العمل على بث العلم والعمل والمشاركة في الشأن العام لما فيه نهضة الأمة ومحاربة العدوان عليها من الداخل والخارج.

هذه العلاقة بين محب الدين والشيخ طاهر جعلته يوسع معارفه وثقافته ويحرص على المطالعة في دار الكتب الظاهرية وفي جمعية القديس يوحنا الأرثوذكسية والتي خصصت غرفا للمطالعة في مدخل حي النصاري بدمشق، وكان يطالع فيها مجلات مصر الكبرى كالمقتطف والهلال، وأيضاً كان يحرص على شراء الكتب من بيروت ودمشق، واكتسب محب الدين صفة حميدة هي أن الكتاب الذي يروق له يقوم بقراءته مرة أخرى مع أصدقائه، وبذلك شكل محب الدين الحلقة الصغرى بدمشق وكان هو حلقة الوصل بين الحلقتين الكبرى بقيادة الشيخ طاهر والصغرى بقيادته، وكان له ثلاثة زملاء يشاركونه همّه وهمته وهم: الأمير عارف الشهابي، و د. صلاح القاسمي، وصالح قنباز، لكنهم ماتوا مبكراً، وبقي محب الدين وحده يحارب في سبيل المبادئ التي آمنوا بها.

وفي هذه المرحلة بدأ محب الدين محاولة كتابة المقالات، وذلك بالترجمة من المجلات التركية ونشرها في مجلة ثمرات الفنون، وكان يوقع بحرفي (م.خ)، ثم صرح باسمه، وفيما بعد سيصبح محب الدين من أهم كتاب ومنشئي الصحافة الإسلامية.

الانتقال للجامعة في استنبول:

في نهاية عام ١٩٠٥م وصل محب الدين استنبول، عاصمة الدولة العثمانية، والتحق بكليتي الحقوق والآداب، لكنه صدم بأن غالب الطلاب العرب هناك يجهلون قواعد النحو والإملاء العربية، فضلاً عن جهلهم بالأدب والثقافة العربية، بل حتى أنهم يتكلمون بالتركية فيما بينهم، وأن حرصهم متوجه لتعلم التركية وإتقانها للحصول على وظيفة جيدة ومرموقة. وقرر محب الدين تغيير هذا الحال مع ما فيه من خطورة، وهذا يكشف لنا عن جوانب مظلمة في تاريخ الدولة العثمانية والتي كانت سبباً في زوالها وسبباً في ثورة الناس ضدها، خاصة حين تم الانقلاب على السلطان عبد الحميد ومن ثم إلغاء الخلافة والإسلام على يد أتاتورك.

فطلب محب الدين من محمد كرد علي الذي تعرف عليه في حلقة دمشق الكبرى، أن يرسل له بالبريد ما يفيض لديه من صحف عربية ومجلات، لينشرها بين شباب العرب باستنبول، وفعلا أصبح كثير من الشبان يزورون غرفة محب الدين للاطلاع على المجلات العربية.

ولم يكتفِ بهذا بل قام بعقد جلسات في النحو لبعض الطلبة ولمّا زاد عددهم قسمهم إلى مجموعتين: مجموعة بقيادته ومجموعة بقيادة الأمير عارف الشهابي، وقد فرض محب الدين غرامات على من يتغيب عن الدرس، ثم أطلق على هؤلاء الشبان وعملهم اسم (جمعية النهضة العربية) في سنة ١٩٠٦م، ثم نقل نشاطه إلى قهوة يرتادها الشبان العرب، ولما زاد العدد بحث عن مكان يقيم فيه احتفالا لهم، واستقر رأيه على حديقة لأحد أعيان البصرة في جزيرة، وتم ذلك الحفل في سنة ١٩٠٧، وهنا تنبهت السلطات لهذا النشاط وبدأت تلاحقه.

وفعلاً جاء لغرفة محب الدين أحد المسؤولين لضبط صاحب الغرفة، وشاءت إرادة الله أن يكون عربياً وصديقاً لعم محب الدين، فنصحه بإيقاف نشاطه وإتلاف ما لديه من أوراق وصحف عربية، وفعلا عمل محب الدين ورفاقه بالنصيحة، وكان محب الدين قد أنهى السنة الثانية من دراسة الحقوق بنجاح وأوقف دراسة الآداب بسبب عدم تفرغه، ولما زادت المراقبة والمضايقة، اقترح عليه رفاقه أن يقضي العطلة الصيفية في دمشق، لتهدئة

الأوضاع ثم يعود فيكمل دراسته، ولكن من هنا سارت حياة محب الدين في محطات متنوعة وكثيرة ولم يكن منها إكمال دراسة الحقوق قط!!

من المهم هنا التنبه إلى أن جمعية النهضة العربية التي أسسها محب الدين في استنبول سنة ١٩٠٦م، هي أول جمعية يؤسسها محب الدين وعمره ٢٠ سنة، وستكون فاتحة عمله ومشاركته المحورية في العديد من الجمعيات والتنظيمات، ويمكن أن نستنتج من هذا أن محب الدين استفاد من حلقة دمشق بقيادة الشيخ طاهر المعرفة بالجمعيات ودورها المركزي في السعي لتحقيق الإصلاح.

العودة إلى دمشق:

في صيف سنة ١٩٠٧م عاد محب الدين إلى دمشق لصرف الأنظار عن نشاطه بالعاصمة استنبول ، وكانت فرصة لمتابعة فرع دمشق من جمعيته النهضة العربية، إذ كان محب الدين قد راسل من استنبول اثنين من أعضاء حلقته الصغرى بدمشق بخبر الجمعية وطلب منهما إنشاء فرع لها بدمشق، وفعلا قاما بذلك ولما جاء محب الدين اجتمع بأعضاء الفرع الدمشقي.

كان محب الدين يظن أن بقاءه في دمشق سيكون لفترة قصيرة، لكن سرعان ما جاءته رسالة من رفاقه هناك تدعوه للبقاء سنة بعيداً عن استنبول، وذلك بسبب وشايات ودعايات ضده يروجها بعض الحاقدين، ولذلك تقرر نقل مركز الجميعة لدمشق، وكان مما تميزت به هذه الجمعية عن سواها من الجمعيات العربية أنها لم تقتصر على أعضاء من مدينة أوبلد واحد، بل تنوعت بلاد أعضائها لكونها نشأت في العاصمة العثمانية وليس في قطر عربي.

السفر إلى اليمن:

لما تقرر ابتعاد محب الدين سنة كاملة عن الجامعة بحث عن مهمة يقوم بها، وفعلا سمع في حلقة دمشق والتي بقيت تعقد جلساتها رغم هجرة الشيخ طاهر الجزائري إلى القاهرة عن طلب القنصلية البريطانية بمدينة الحُدَيدة باليمن مترجما لها، فطلب أن توكل إليه فاعترض أعضاء الحلقة، لأنهم يرون أنه لا بد أن يكمل دراسته الحقوقية ولأنهم يعلّقون عليه آمالاً كثيرة، فلما أخبرهم أنه لا يمكنه العودة حاليا للدراسة، وأنها فرصة للتعرف على أحوال اليمن والعمل على التواصل مع أهله لنهضة الأمة، وافقوا وساعدوه على الحصول على الوظيفة، ومنها ندرك أن حلقة دمشق كانت حلقة علم وعمل وتخطيط ونهضة.

سافر محب الدين إلى اليمن مروراً بالقاهرة، فلقي شيخه الجزائري وصديقه كرد علي وتناول الحديث جمعية النهضة العربية ودورها المرتقب، وهناك التقى بعدد من قادة الرأي والعلماء والمصلحين مما ساعده فيما بعد على الاستقرار بالقاهرة، ومن أهم نتائج زيارته للقاهرة تعرفه على جمعية الشورى العثمانية التي تدعو إلى حكم الشورى بعودة الحكم النيابي ومحاربة الاستبداد، وكان على رأسها الأديب التركي عبدالله بك جودت والسيد رشيد رضا ورفيق بك العظم، وكان للجمعية ١٣ فرعاً بالبلاد العربية وأوكلوا لمحب الدين افتتاح فرع لها باليمن من العثمانيين الصالحين.

وواصل محب الدين طريقه لليمن فوصلها في ١٩٠٧/١١/٢٧م، وهناك حرص على التواصل مع اليمنيين والتعرف على أحوالهم، وفعلاً استطاع في وقت سريع التعرف على مجموعة من الضباط العرب الذين أبعدوا لليمن عقوبة لهم على رفضهم للظلم والاستبداد، وعلى رأسهم قائد الحُديدة البكباشي شوقي بك المؤيد العظم، وأسسوا فرعاً لجمعية الشورى العثمانية، بعد اطلاعهم على قانونها وصحيفتها الصادرة بالعربية والتركية،

وأصبح هؤلاء الضباط ينشرون فكر الجمعية باليمن.

وهناك تعرف محب الدين إلى القاضي الشرعي وأصله من مسلمي بعض الجزر في البحر الأبيض، فحرص على تحبيبه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فمحب الدين كان يسعى للإصلاح الشامل وعلى جميع الأصعدة.

ومن اليمن كان يواصل المراسلة مع رفاقه في جمعية النهضة بدمشق وجمعية الشورى بالقاهرة ويتابع مسيرة الإصلاح في دمشق والقاهرة واليمن، ولما أعلن السلطان عبد الحميد إعادة العمل بالدستور سنة ١٩٠٨م، تجاهل قائد اليمن ذلك، في محاولة لإبقاء الحال على ما هو عليه، واستغلال جهل الناس وبُعد اليمن عن العاصمة بعدم تغيير الواقع.

لكن محب الدين أقنع رفاقه بالقيام باحتفال علني بعودة الدستور وفرض ذلك على القيادة، وفعلا تم إطلاق المدافع والصواريخ فرحا بعودة الدستور وأسقط في أيدي القادة.

في تلك المرحلة كان هدف الكثير من المصلحين العمل على محاربة الاستبداد والضعف، ولم يكن هناك تفكير عند المصلحين العرب وخاصة المسلمين منهم بالانفصال عن الدولة العثمانية، بل غايتهم تقويتها وإصلاحها، ولم تكن التمايزات قد ظهرت ولم يكن هناك وضوح في الخيارات الأيديولوجية، وذلك حين فرض الدستور فرحت جمعية الشورى العثمانية واندمجت في جمعية الاتحاد والترقي والتي كانت تمسك بمفاصل الحكم في استنبول. من المهم هنا الانتباه إلى أن مساوئ جمعية الاتحاد والترقي لم تظهر إلا بعد سنة ١٩١٠م تقريباً وبشكل متدرج، حتى وصلت إلى مرحلة إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م، ومن هنا يجب الحذر من إطلاق الأحكام بشكل اعتباطي دون مراعاة للزمان والظروف.

ومن نشاطات محب الدين بالحُدَيدة قيامه بتجديد وتطوير المدرسة الأميرية فيها، فقد طلب من زملائه في جمعية الشورى التطوع للتدريس مجانا للطلبة، وحث التجار على التبرع بأحذية وأقمشة لتوفير زي مدرسي للطلبة، ونظم محب الدين للطلبة بعض الأناشيد، ووفر لهم عسكريا ينظم لهم بعض الألعاب الرياضية والتمارين، فارتفع عدد الطلبة من ٣ إلى ٣٠٠ في أسبوعين.

وكان محب الدين يؤمن أن المعلم هو المسؤول الأول وبشكل كبير عن نقل الأمة من حالة التخلف والجمود إلى حالة الرقي والتقدم، ولذلك اهتم في العديد من مقالاته بالتركيز على هذه القضية وألّف فيها كتابه «إصلاح الأزهر»، كما أنه شارك في تجربة السيد رشيد رضا بإقامة مدرسة الدعوة والإرشاد والتي كانت تهدف لإعداد الدعاة والمعلمين لكن لم يكتب لها الاستمرار طويلا، حيث أسند إليه رشيد رضا تدريس مادة طبقات الأرض (الجيولوجيا).

ثم عمل محب الدين على إنشاء مطبعة وجريدة تنهض باليمن ثقافياً، فحث زملاءه على تأسيس شركة مساهمة لهذا الغرض، وفعلا وافق على ذلك مجموعة من الناس، وقام محب الدين بمخاطبة شركات آلات الطباعة للحصول على (كتالوجاتها)، لكنه لم يتمكن من إتمام المشروع، بسبب مطالبة جمعية النهضة العربية له بسرعة العودة لدمشق لإصدار صحيفة باسم (النهضة العربية).

وفي اليمن بعد عودة الدستور سعى محب الدين للصلح بين الدولة العثمانية والإمام يحيى (حاكم اليمن)، وذلك بإقناع الطرفين أن العداء كان بسبب الظلم، وبما أن الامور تغيرت فلنفتح صفحة جديدة بين الطرفين، يطلق الإمام ما لديه من جنود عثمانيين أسرى وهم ٣٠٠ أسير، وتعترف الدولة للإمام بوضعية مماثلة لوضعية شريف مكة في

الـشؤون الدينيـة، وللدولـة سـائر الـشؤون الـسياسية والاقتـصادية والعـسكرية، وفعـلا تم الاتفـاق واسـتمر هذا الحال إلى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبعـد سـنة تقريبـاً غـادر محـب الـدين الـيمن عائـداً إلى دمـشق، وتـرك خلفـه فيهـا بـصمات قويـة وظـاهرة، وهـي تحتـاج إلى بحـث أعمـق عمّـا آلـت لـه بعـد سـفره، ويجـب أن نتـذكر أن محـب الـدين فعـل كـل هـذا وهـو لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره!

العودة إلى دمشق:

وعـن خططـه لهـذه المرحلـة: «كانـت النيـة أن يعمـل علـى تجديـد نـشاط جمعيـة النهـضة العربيـة، وأن يـصدر في دمـشق صـحيفة باسـم الجمعيـة، وأن يكـون ذلـك في داخـل نطـاق الدسـتور العثمـاني وقوانينـه»، لكنـه فـوجئ بـ «أن الدولـة تـأبى أن تعـترف بعنـوان جمعيـة النهـضة العربيـة، لأن كلمـة العربيـة غـير مرغـوب فيهـا مـن الدولـة العثمانيـة، وأجـبروا الجمعيـة علـى أن تجعـل اسمهـا (جمعيـة النهـضة الـسورية)»، وكانـت هـذه مـن إرهاصـات خـلاف محـب الـدين ورفاقـه العـرب مـع الاتحـاديين، خاصـة حـين سـاءت الأحـوال في كـل الدولـة العثمانيـة بـسبب سياسـات الاتحاديين المنحرفة.

وبعـد أشـهر معـدودة مـن عودتـه لدمـشق قـام بكتابـة مقـالات لمجلـة فكاهيـة سـاخرة ومنتقـدة للأحـوال الفوضـوية بعـد إعـادة العمـل بالدسـتور العثمـاني سماهـا عمـال المطبعـة (طـار الخـرج)، فاسـتاءت الحكومـة مـن هـذه المجلـة وبحثـت عـن الكاتـب والناشـر لهـا، فنبهـه أصـدقاؤه في الحكومـة لـضرورة المغـادرة، فـسافر لـبيروت، ومـن ثم أرسلوا لـه رسـالة طـالبوه بالـسفر لاسـتنبول حتـى لا تقـبض عليـه السلطات.

بقـي هنـاك بـضعة أشـهر حتـى علمـت حكومـة سـوريا بوجـوده بالعاصـمة، فلاحقتـه، فلـم يجـد بـدا مـن الهـرب للقـاهرة الواقعـة آنـذاك تحـت حكـم الإنجليـز، حتـى لا تطالـه يـد حكومـة الاتحـاد والترقي، الذين كانوا شركاءه!

الاستقرار في القاهرة:

وصـل القـاهرة في أغـسطس/ آب ١٩٠٩م، وهنـا تبـدأ مرحلـة جديـدة في حيـاة محـب الـدين وتـستمر معـه ٦٠ عامـاً يظهـر فيهـا الجانـب الثقـافي والإعلامـي أكثـر مـن الجانـب الـسياسي، الـذي سـار فيـه محـب الـدين إلى أن وصـل لطريـق مـسدود فتركـه غـير متأسف عليه!

وهنـا سـنتناول سـيرة محـب بـشكل موضـوعي، حتـى نمتلـك صـورة متكاملـة لجهـود محـب الـدين الإصـلاحية والـتي توزعـت علـى المجـالات الـسياسية والتعليمية والثقافية والصحفية.

نشاطه السياسي في الجمعيات والأحزاب:

لم يـشارك محـب الـدين في كـثير مـن الجمعيـات والأحـزاب الـتي ظهـرت في زمانـه، بـل كـان غالبـاً في قيادتهـا، وبـل ويـشغل منـصب أمـين الـسر الـذي يحـتفظ بالوثـائق والمراسـلات، ولقـد كـان محـب الـدين منظمـا في إدارة هـذه الملفـات والوثـائق وتـصنيفها وحفظهـا، بحيـث أن مكتبتـه الشخـصية وأرشـيفه كانـا المـصدر الأساسـي لعـدد مـن الطروحـات الجامعيـة عـن تلـك الحقبـة مـن تـاريخ العرب والمنطقة.

مـر معنـا أن محـب الـدين تعـرف علـى فكـرة الجمعيـات والأحـزاب في حلقـة دمـشق الكـبرى بزعامـة شـيخه طـاهر الجزائـري، وكانـت جمعيـة النهـضة العربيـة الـتي أسـسها وهـو طالـب باسـتنبول سـنة ١٩٠٦م أول جمعيـة لـه، ثـم انـضم سـنة ١٩٠٦ لجمعيـة الـشورى العثمانيـة وفـتح لهـا فرعـاً بـاليمن، والـتي انـدمجت بجمعيـة الاتحـاد والترقـي، لكـن سـرعان مـا ظهـر لـه ولغيره حقيقـة الاتحـاديين فأصـبح عدواً لهم.

وبعـد اسـتقراره بالقـاهرة شـارك في تأسـيس حـزب

اللامركزية العثماني عام ١٩١٣م والذي رأسه رفيق العظم ومن أعضائه رشيد رضا، وأصبح محب الدين عضواً بمجلس الإدارة وكاتم سره الثاني.

وفي نفس الوقت كان ممثل جمعية (العربية الفتاة) التي تأسست في بيروت، ثم في باريس سنة ١٩٠٩م، وكان بمثابة صوتها في حزب اللامركزية العثماني، وقد كان محب الدين هو الذي استحصل موافقة الحزب على المشاركة في المؤتمر العربي الأول في باريس سنة ١٩١٣م والذي نظمته (العربية الفتاة) بشكل غير مباشر، وقد أصدر محب الدين كتابا خاصاً عن المؤتمر نشر كملحق في جريدة المؤيد، وقد كان للمؤتمر تأثير قوي على حكومة الاتحاد والترقي لدرجة أنها حكمت بالإعدام على كل من شارك بالمؤتمر، وفعلا نفذ الإعدام بحق كثير منهم حتى سمي المؤتمر بمؤتمر الشهداء!

وهذا الموقع المركزي المتقدم مكن محب الدين من الاتصال بالكثير من الجمعيات الإصلاحية والشخصيات الوطنية في العديد من البلاد العربية، وساعدته على محاربة مخططات الاتحاديين الأتراك والمستعمرين الأوربيين، من خلال هذه الصلات كان رجالات الإصلاح يسندون المهام السياسية والإصلاحية لرفاقهم في الجمعيات والأحزاب في أي موقع يحصل به شاغر، وهذا يفسر تعدد الدول التي يظهر بها نشاط لمحب الدين وأمثاله في تلك الحقبة من الزمان.

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى رأى قيادات حزب اللامركزية وجمعية العربية الفتاة أن مصلحة العرب عدم الدخول في الحرب إلى جانب طرف ضد طرف، وتقرر إرسال مندوبين للزعماء العرب لمفاوضتهم في ذلك، وتم تكليف محب الدين بالسفر إلى الخليج العربي والاجتماع بأمير نجد والإحساء الأمير عبد العزيز آل سعود، وزعيم العراق السيد طالب النقيب لتلك الغاية، فسافر سنة ١٩١٤م ومعه دليل وهو طالب من الخليج يدرس بمدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها السيد رشيد رضا، فركبا من السويس لعدن ومنها إلى بومباي بالهند، ثم يعودان للخليج وينزلان بالكويت وينطلقان للأمير عبد العزيز، وكان هذا يعد أيسر طرق المواصلات آنذاك، ولكن القوات البريطانية راقبتهم من بومباي، وقبل نزولهم من الباخرة بالكويت تم اعتقالهما ونقلهما للبصرة، وبقي محب الدين معتقلا سبعة شهور، وقد استغل هذه الخلوة الإجبارية بالمطالعة من خلال تعاطف شرطي عراقي كان يستعير له الكتب من مكتبة أديب عراقي.

وفي أثناء اعتقاله أوفدت العربية الفتاة الشيخ كامل القصاب لمصر، ومن ثم عاد لسوريا وسافر للحجاز، وهناك ساهم في انطلاق الثورة العربية ضد الاتحاديين، الذين كانوا لا يراعون المصالح العربية، واحتاج الشريف حسين لمن يساعده على توطيد حكمه فاستعان برجالات العرب، وأشار عليه الشيخ القصاب بإحضار محب الدين ليتولى الجانب الاعلامي، وهو ما سنفصله في عمله الصحافي، بعد قليل.

ولكن محب الدين ورجالات العربية الفتاة، لم يجدوا أن الحسين يسعى معهم لنهضة عربية شاملة، بقدر حرصه على عدم سلب الأتراك حكم الحجاز منه، ولذلك سافر لدمشق سنة ١٩١٩ وهناك طلب منه الأمير فيصل ومن الشيخ القصاب أن يعملا على تسليح الشعب ريثما يسافر لفرنسا للتفاوض معها.

وفعلا قاما بتأسيس اللجنة الوطنية العليا، والتي نظمت الناس ودربتهم وسلحتهم بما تيسر، ولما عاد الأمير فيصل بغير ما ذهب به، وقام القائد الفرنسي بالزحف لاحتلال دمشق، قاد الخطيب والقصاب الناس للمقاومة، ولكن القوة لم تكن متكافئة ولا القيادة متحمسة، فلم يكن من جدوى لإطالة

المقاومة، فهرب محب الدين للقاهرة، وهذا كان نهاية عمله السياسي تقريباً، وتوجهه للعمل الإعلامي والثقافي، فالخلافة أُلغيت والبلاد العربية احتلت، ولكن محب الدين واصل دعمه للجمعيات والجماعات الإسلامية، كجمعية الشبان المسلمين وجماعة الإخوان المسلمين.

إنشاء المكتبة السلفية:

عقب وصوله للقاهرة سنة ١٩١٩م وبثمن منزل له في دمشق كان قد باعه، قام بتأسيس المكتبة السلفية سنة ١٣٢٧ هـ، وذلك لـ «نشر النادر المنتقى من كتب السلف، والنافع المرتضى من المؤلفات العصرية عربية أو معربة»، وشاركه في المكتبة صهره عبد الفتاح قتلان، ثم تمكنا من تأسيس مطبعة خاصة للمكتبة سنة ١٣٤٠هـ، وساهمت المكتبة السلفية ومطبعتها ببعث نهضة ثقافية متميزة من خلال اعتنائها بنشر المفيد من الكتب وجوْدة الطباعة والتصحيح لما تطبع، وأشار محب الدين في أحد مقالاته بمجلة الفتح أنه قام بفتح فرع للمطبعة بمكة المكرمة، وذلك في عهد الملك عبدالعزيز، ولكننا لا نعرف شيئاً عن تفاصيل هذا الفرع.

ومن خلال سجل مطبوعاتها لسنة ١٣٤٩هـ، نجد تنوعاً كبيراً في مطبوعاتها، فبجوار العديد من كتب التراث الشرعي واللغوي، نجد أنها نشرت كتباً في الأخلاق والتزكية تراثية ومعاصرة، ونجد العديد من الكتب الحديثة والتي تدحض شبه المستشرقين والملاحدة ومن تأثر بهم، ونجد المكتبة السلفية هي التي نشرت كتب كبار مثقفي القرن العشرين أمثال الأديب مصطفى صادق الرافعي والعلامة أحمد تيمور باشا والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر والشاعر أحمد أبو شادي، ونجد المكتبة السلفية نشرت كتباً مترجمة في قضايا مهمة ككتاب مقالة في المنهج لديكارت، ومذكرات غليوم الثاني امبراطور ألمانيا ودوّن فيه أفكاره بعد الحرب العالمية الأولى.

وكذلك اهتم محب الدين بنشر الروايات والقصص الأدبية بشكل ملحوظ، وبعضها مترجم من الإنجليزية والفرنسية والتركية، بل إن محب الدين نفسه قام بترجمة رواية لكاتبة تركية تدعى خالدة أديب وروايتها باسم (قميص من نار) تصف فيها جهود الترك لرد عدوان اليونانيين على غرب الأناضول، مما يدل على سعة أفق محب الدين وإدراكه المبكر لدور الرواية والقصة في الجيل الحاضر، وهو الوعي الذي غاب عن أجيال السلفية المعاصرة، بسبب تفريطهم في التواصل مع أعلامهم المعاصرين بالتعرف عليهم ودراسة تجاربهم، والله المستعان.

ولم تكن المكتبة والمطبعة مقرا للعمل فقط، بل كانت مركز قيادة فكرية وإشعاع حضاري، فقد كانت مكاناً يتجمع فيه المخلصون كالشيخ الخضر حسين وتيمور باشا وكرد علي ومحمود وأحمد شاكر، لبحث الأحداث والمستجدات ومن ثم إطلاق المبادرات، ففي المكتبة السلفية كان مولد مجلة الفتح للتصدي لموجة الإلحاد، وفي المكتبة السلفية كان انطلاق فكرة جمعية الشبان المسلمين، وفيها كان تأسيس مجلة الإخوان المسلمين، وغيرها من المبادرات النافعة، ويصفها الأستاذ أنور الجندي بأنها «نبع القلوب الصادقة، تردها من الشباب فئة قليلة الصبر على ضيم ينزل بالأمة العربية من ظلم الاستعمار».

وكان من رواد المطبعة السلفية: الأستاذ حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين، والذي تردد على المطبعة من سنة ١٩٢٧م يستفيد من معارف وخبرات الخطيب، وقد ساهمت هذه المعرفة في البنا وفي جماعته الإخوان المسلمين، وبقي الخطيب يستقبل الشباب الإسلامي وشباب الإخوان في مطبعته

ويـوليهم عنايتـه كمـا يحـدثنا المستـشار عبـدالله العقيل.

وبقـي محـب الـدين لآخـر يـوم في حياتـه يواصـل عملـه بالمكتبـة والمطبعـة، بـل نقـل المكتبـة والمطبعـة لبنـاء جديد فيـه بيتـه أيضاً حتـى يحـافظ علـى وقتـه مـن الـضياع بالـذهاب والإيـاب، وليـسهل عليـه التـأخر فيهـا لإنجـاز الأعمـال، ويقـوم بمهـام مـن يغيـب مـن العمـال، وقـد أوصـى محـب الـدين أولاده بالحفـاظ علـى المكتبـة والمطبعـة وعـدم تقـسيمها بـين الورثـة، وأن يكمـل أبنـاؤه مـن بعـده المهمـة بنـشر العلـم والمعرفـة، وهـي لا تـزال قائمـة لليـوم علـى ضـعف، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله.

دخوله عالم الصحافة:

حـين جـاء محـب الـدين للقـاهرة أول مـرة مـن اسـتنبول سـنة ١٩٠٩، عرّفـه شـيخه طـاهر الجزائـري علـى العلامـة أحمـد تيمـور باشـا، ثـم طلـب منـه أن يـسعى لمحـب الـدين للعمـل في صـحيفة المؤيـد الـتي يـصدرها شـيخ الـصحافة المـصرية الـشيخ علـي يوسـف، وذلـك لكـون تيمـور باشـا مـساهماً في شـركة المؤيـد الـتي تـصدر الـصحيفة، هـذا التـصرف مـن الـشيخ طـاهر كـان لـه بـالغ الأثـر علـى تطـوير قـدرات محـب الـدين الـصحفية والإعلاميـة، وكـذلك بـالغ الأثـر علـى إخـراج شخـصية إعلاميـة فـذة تنـصر المـشروع الإسـلامي في الـصحافة وتحملـه علـى كتفهـا أكثـر مـن ٤٠ سـنة، وهـو أيـضاً يـدل علـى نفاسـة معـدن الـشيخ طـاهر الـذي يحـرص دومـاً علـى شخـصية طلابـه وتلاميـذه ويـسعى لتطـويرهم وشـق الطريـق لهـم ليكونـوا مـشاعل نـور وهدايـة، في تطبيـق حـي لمعنـى التربية والرعاية والأستاذية، رحم الله الجميع.

وقـسم محـب الـدين عملـه ففـي الـصباح في جريـدة المؤيـد حتـى الواحـدة بعـد الظهـر، وبعـدها يـذهب للمكتبـة الـسلفية يـشرف عليهـا، حيـث في الـصباح يعمل بها شريكه وأخو زوجته عبد الفتاح قتلان.

وقـد لقـي محـب الـدين كـل التـشجيع والـدعم مـن الـشيخ علـي، واسـتفاد منـه فائـدة عظمـى في أسـرار العمـل الـصحفي بقـي يـشيد بهـا ويـذكرها محـب الـدن طيلـة حياتـه، وترقـى محـب الـدين في المؤيـد فأصـبح يمكنـه أن ينـشر ملحقـا للـصحيفة بعـد العـصر، فقـد نقـل سـكنه ليكـون قريبـا مـن مبنـى المؤيـد، فـإذا جـاءت أخبـار عاجلـة أرسـلها لـه العمـال، فيعمـل منهـا ملحقـا صـغيرا، يطبـع فـوراً وينـزل للـسوق دون الرجـوع للـشيخ علـي، بـل كـان الـشيخ علـي يرسـل خادمـه يشتريه من الباعة كباقي القراء!

ومـن علـى صـفحات المؤيـد قـام محـب الـدين بالتحـذير مـن خطـر التبـشير بـين المسلمين، فترجـم هـو ومـساعد اليـا في مقالـة مـسيو لوشـاتليه والـتي نـشرت بعنـوان «الغـارة علـى العـالم الإسـلامي»، فأحـدثت ضـجة كـبيرة، وقـد تـولى محـب الـدين الـرد علـى مقالات المبشرين التي حاولت التنصل من ذلك.

كمـا أن محـب الـدين قـام بكتابـة العديـد مـن المقـالات الـتي تفـضح سياسـة الاتحـاد والترقـي في الـبلاد العربيـة، ممـا عـزز الحركـة العربيـة في سـوريا والعـراق ضـد جـرائمهم، وهنـا لا بـد مـن بيـان أن العروبـة عنـد محـب الـدين لم تكـن تنفـصل عـن الإسـلام بـأي شـكل مـن الأشـكال، ولـذلك فـإن تـسرع الـبعض لاتهـام محـب الـدين بالغفلـة أو العمالـة هـو ظلـم صـريح، فمحـب الـدين يعتـبر العربـي الـذي يتخلـى عـن أخـلاق الإسـلام لـيس عربيـاً أصـلاً، ولأنـه حـارب انحـراف القـوميين حـين كـشفوا الغطـاء عـن عـدائهم للإسـلام، كمـا حـارب الاتحـاديين حـين عـادوا العـرب والإسـلام، كـان محـب الـدين يقـول: «اللغـة والـدين والتـشريع القـومي، والإدارة الوطنيـة، هديـة الخـالق لخلقـه في عـشرات الألـوف مـن الـسنين، ولا يـزال أثـر هـذه الهديـة الإلهيـة دائمـا مـا دامـت هـذه المقومـات الأربعـة تـسير مـع حاجـة الأمـة بحـسب الأجيال».

واسـتمر محـب الـدين فـاعلاً في عـالم الـصحافة في مـسيرة طويلـة جـداً، ومـرّ معنـا أنـه بـدأ الكتابـة

بالترجمة من التركية لمجلة ثمرات الفنون في بيروت، ثم كتب العدد اليتيم من مجلة (طار الخرج)، وعلى إثره هرب من سوريا وتنقل حتى استقر بالقاهرة سنة ١٩٠٩م، ثم عمل بالمؤيد والتي كانت علامة فارقة في حياته وقال عنها: «وقد استفدت من أساليبه الصحفية، ومن خطته الإسلامية، ما أنا مدين له به ما دمت حياً، فالمؤيد كانت مدرستي الأولى في هذه الصناعة»، وبقي فيها حتى أغلقت في سنة ١٩١٣م، ومن خلال صحيفة المؤيد حصل محب الدين على الشهرة العالمية الواسعة.

ثم لما قامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦م، طلبه الشريف حسين لمكة المكرمة بناء على توصية من الشيخ كامل القصاب، ليؤسس جريدة القبلة لتكون لسان حكومة الحجاز، وفعلاً أسس محب الدين مجلة القبلة ورأس تحريها ثلاث سنوات، وأسس أيضاً المطابع الأميرية بمكة المكرمة، ثم استأذن بالسفر لدمشق سنة ١٩١٩م، وتولى تحرير مجلة العاصمة، والتي أصدرتها حكومة الأمير فيصل، من العدد ٤٧، وفي هاتين المجلتين كانت غالب مقالاته تدعوا لحقّ العرب في الحكم، وضرورة الحكم الدستوري، ورفض أطماع الاستعمار والاتفاقات الدولية.

ولما وجد أن اختيارات الشريف حسين وولده الأمير فيصل السياسية، قصرت عن مطالب محب الدين ورفاقه من المثقفين والقادة، وأنهم قد قبلوا بعقد اتفاقات مع القوى الأوروبية دون مشاورة مع القوى الشعبية، فرفض محب الدين ورفاقه الاحتلال الفرنسي لدمشق، وقاوموا الاحتلال الفرنسي من خلال تأسيسهم اللجنة الوطنية العليا، وبسبب تفوق قوات الاحتلال اضطر محب الدين للهرب مرة ثانية للقاهرة، فعاد لها سنة ١٩٢٠م.

فأعاد محب الدين افتتاح المكتبة السلفية والتي أغلقها عند سفره للحجاز، والتحق بصحيفة الأهرام حتى سنة ١٩٢٥م، والأهرام من أقدم الصحف العربية وأهمها في ذلك العصر، وهي علمانية التوجه إذ أسسها أخوان مسيحيان لبنانيان سنة ١٨٧٦م، وكانت تجربة جديدة لمحب الدين تعرف فيها على مجالات أخرى في عالم الصحافة.

ثم أسس محب الدين مجلته الأولى الزهراء، وهي مجلة أدبية شهرية، استمرت تصدر ٥ سنوات (١٩٢٤- ١٩٢٩)، وكانت تهدف لنشر فكره الإصلاحي القائم على مزج الأصالة بالتحديث، من خلال المرونة في الاقتباس من الآخرين من وسائل القوة ونظم الإدارة والتخصص في العلوم والأعمال، مع الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية وسجايانا القومية ولساننا الأصيل.

وقد توقفت الزهراء بسبب تحول الأوضاع العامة، وضرورة وجود منبر إعلامي للمشروع الإسلامي يخاطب الشباب والرأي العام لمقاومة التيارات السياسية والثقافية الدخيلة، وترخيص الزهراء لا يسمح بذلك.

وهنا جاء دور ظهور مجلة الفتح سنة ١٩٢٦م، وذلك بعد تداعي دعاة الإصلاح بطلب من العلامة أحمد تيمور باشا بخطورة موجة الإلحاد التي تنتشر بين الشباب عقب إلغاء الخلافة وسياسات أتاتورك المحاربة للإسلام، وعقد اللقاء بالمطبعة السلفية وحضره الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر لاحقاً، وتقرر إنشاء جمعية لمقاومة ذلك، ولكن لأن الخطر أسرع من ذلك وأهمية الاتصال بالرأي العام والشباب المثقف، فتقرر أيضاً إنشاء مجلة لهذا الغرض.

ورغم أن الحصول على ترخيص لصحيفة إسلامية كان أشبه بالمستحيل – وكأن التاريخ يعيد نفسه – فقد أخذ تيمور باشا على عاتقه ذلك، وفعلا قام بترخيص الفتح وجمعية الشبان المسلمين

لهذه الغاية وهي مقاومة التغريب وموجة الإلحاد، وهذه من المآثر المجهولة لتيمور باشا.

بقيت الفتح تصدر أكثر من ٢٠ سنة (١٩٢٦-١٩٤٨) وبلغت أعدادها ٨٨٤، تحمل هم الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين في كل مكان، وقد نشرت المشروع الإسلامي وكونت وعي الكثير من الأجيال، وصنعت الكثير من قادة الحركة الإسلامية المعروفين اليوم، وقلّ أن تجد أحد المشاهير اليوم لم يكتب في الفتح في مطلع شبابه، وكانت الفتح تصل لكثير من بلاد العالم، وكانت تتميز بأخبارها الخاصة حيث كان يراسلها المخلصون من كل مكان، ومن مراسلي الفتح كان الأستاذ حسن البنا نفسه في مطلع شبابه.

وكان محب الدين قد صنع أرشيفا دقيقا للمراسلات التي تأتيه بحسب الموضوعات والشخصيات، مكنته من القيام بحملات قوية للدفاع عن قضايا المسلمين، وقد تعرض للاعتقال ٣ أيام بسبب مقال كتبه عن أتاتورك، وفي سنواتها الأخيرة اهتمت الفتح كثيراً بقضية فلسطين وعملت على توعية الناس بخطورة الزحف اليهودي، وقد حذر العرب والمسلمين من إقامة دولة إسرائيل قبل ١٣ سنة من وقوع الكارثة، ذلك أنه كان يرى غفلة العرب وهمة اليهود لتطبيق مخطط بازل الصهيوني.

وصدق الحسن الغزالي حين أنشد في الفتح وصاحبها:

تلك السنون لقيت من إعناتها
ما يذهل الآساد عن أجماتها
قد جبتها و(الفتح) في يمناك من
نور أضأت بها دجى ليلاتها
أسطارها تغزو النفوس بلاغة
وهدى وتغزو الغي في جنباتها

لم تتوقف الفتح إلا بعد ضغوط كبيرة منها ارتفاع سعر الورق ٤٠ ضعفا، وانقطاع المواصلات، ومنع نشر الإعلانات القضائية التي تدر دخلاً للمجلات، وينقل أبو الحسن الندوي عن الخطيب قوله: «أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتش ويعاقب»، وذلك عقب هزيمة العرب مع دولة اليهود.

وفي سنة ١٩٢٩ طلب منه صديقه الجزائري الشيخ إبراهيم أطفيش المساعدة في الحفاظ على مجلته المنهاج، والتي كانت مهددة بالإغلاق بسبب تعثر صدورها لعوائق مالية وإدارية، فحولها محب الدين لجريدة أسبوعية بعد أن كانت نصف شهرية، وذلك رغبة منه بالحفاظ عليها لما لها من دور في مكافحة التبشير والاستشراق خاصة في بلاد المغرب، لكنها لم تصمد وبعد سنتين أوقفت.

وأثناء عمله بالفتح طلب منه حسن البنا المساعدة في إنشاء جريدة أسبوعية لجماعة الإخوان المسلمين، وكان رأس مالهم لإصدار الجريدة جنيهان! وطلبوا من محب الدين أن يرأس التحرير الجريدة ويطبعها بالمطبعة السلفية، وقد قبل ذلك محب الدين فصدرت في سنة ١٩٣٣م وبقي يرأسها ثلاث سنوات.

وقد واصل محب الدين الكتابة في العديد من الصحف والمجلات التابعة لجماعة الإخوان، فكتب في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية منذ صدورها عام ١٩٤٦م، وفي مجلة الشهاب والتي أصدرها حسن البنا سنة ١٩٤٧م، ومجلة (المسلمون) التي أصدرها سعيد رمضان سنة ١٩٥٢م.

وفي سنة ١٩٥٢م عين محب الدين رئيس التحرير لمجلة الأزهر بقرار من صديقه الشيخ الخضر حسين والذي أصبح شيخ الأزهر، وكانت افتتاحياته تعد الزاد للشباب المسلم الدارس في الأزهر كما يقول المستشار العقيل، وبقي يرأسها ست سنوات.

هــذه كانــت مــسيرة محــب الــدين مــع الــصحافة محـــرراً وناشـــراً ورئيـــساً للتحريـــر وكاتبـــاً، وهـــي مــسيرة حافلــة بالعطــاء والبركــة، وقــد تميــز أسـلوبه بالـسلاسة والمباشــرة والبعــد عــن التعقيــد والزخرفـات اللغويــة، وهــو صــريح وجــريء في عــرض أفكــاره علــى القــارئ، وهــو شــديد التمسك بمبادئــه وشــديد الــدفاع عنهــا، ولا يجامــل فيهــا أحــداً، حــرص علــى الوصــول لأوســع شــريحة مــن النــاس ولم يقتــصر علــى مخاطبــة النخــب، ولــذلك كــان يلجــأ للكتابــة بطريقــة خطابيــة تخاطب القارئ بشكل شخصي.

ومقـــالات محـــب الـــدين تنوعـــت بـــين المقـــالات الحماســـية للـــدفاع عـــن العروبـــة والإســـلام، وبـــين المقـــالات الأدبيـــة الـــتي تـــذكر بعظمـــة الإســـلام وحــضارته ومــآثر الأجــداد، وبــين المقــالات الــتي تعــالج الواقــع وتقــترح الحلــول لهــا، وهــي تحتــاج أن تجمــع مــن بطـون المجـلات ويعـاد بثهـا في النـاس فإنهـا تحـوي خـبرة ورؤية نحتاجها اليوم بشدة.

ولقــد لخــص محــب الــدين اهتمامــه بالــصحافة والتعلــيم فقــال: «إنمـــا أتينـــا مـــن جانـــب المدرســـة والــصحافة، فهمــا اللتــان كونتــا رجالنــا وجماهيرنــا كمــا نــرى، ولــن نتقــي شــر الانحــلال الــذي نتوقــع أن ينــزل بنــا، مــالم تكــن لنــا مــدارس وصــحف مؤســسة علـــى جلاميـــد مـــن الإيمـــان بالهدايـــة المحمديـــة لا تزعزعها الزلازل».

جمعية الشبان المسلمين:

تقــدم معنــا دعــوة تيمــور باشــا المخلــصين لمقاومــة موجــة التغريــب والإلحــاد، وذلــك عــبر إنــشاء جمعيــة ومجلــة، فكانــت المجلــة هــي الفــتح، وأمــا الجمعيــة فكانــت جمعيــة الــشبان المسلمين، والــتي ســعى تيمــور باشــا لترخيــصها بمــا لــه مــن مكانــة وشــأن، ولكــن التنفيــذ والرعايــة كــان مــن نــصيب محــب الــدين، حيــث انتخــب ١٢ طالبــاً جامعيــاً مــنهم العلامــة عبــد الــسلام هــارون والعلامــة محمــود شــاكر أبــا فهــر والعلامــة عبــد المنعم خــلاف، عملــوا بــصمت وســرية حتــى اســتقطبوا ٣٠٠ عــضو مــن الجامعــات، وذلــك حتــى يتجنبــوا مهاجمــة الكُتــاب بالــصحف الــذين يعارضــون المــشروع الإســلامي، وبعــدها أعلنــوا عــن تأســيس الجمعيــة ســنة ١٩٢٧م، ففوجئــوا بهــا جمعيــة كبيرة لم يمكنهم عمل شيء ضدها.

وكــان هــدف الجمعيــة مقاومــة الإلحــاد والتغريــب وشــبهات المستــشرقين، والــدعوة لمكــارم الأخــلاق، والتعامــل المــرن مــع الحــضارة الغربيــة باقتبــاس النــافع والمفيــد، وتقــديم البــديل للــشباب لقــضاء وقــت فــراغهم في أنــشطة رياضــية مفيــدة، وكـــان للجمعيـــة دور ملمــوس في الــشباب المــصري، ومــن أعــضائها حــسن البنــا، قبــل إنــشائه جماعــة الإخــوان، وكانــت مجلــة الفـــتح بمثابـــة النـــاطق الإعلامـــي للجمعيـــة فتنـــشر أخبارها وندواتها..

وقــد امتنعــت الجمعيــة عــن العمــل بالــسياسة حتــى تحــافظ علــى نفسها، وتــتمكن مــن الانتــشار، ولــذلك فتحــت فروعــا خــارج مــصر كــان منهــا ٢٠ فرعــا في فلــسطين، تعــاون معهــا الــشيخ عــز الــدين القــسام في مدينــة حيفــا، وفتحــت لهــا فــروع في دمــشق والهنــد والباكـــستان والبوســـنة وأوروبـــا، حتـــى قـــدر عـــدد أعضائها بمليون عضو.

لكــن تحــولا طــرأ علــى الجمعيــة أخرجهــا عــن مقــصدها، ويبــدو أن ذلــك كــان بتــأثير الاحــتلال، وأصــبحت تقتــصر علــى الأنــشطة الرياضــية، وهــو مــا ســاء محــب الــدين وأغــضبه، إذ كــان يهــدف منهــا أن تكـــون المؤســـسة الأولى للإســـلام في مـــصر، تحتـــاج الجمعيـــة لدراســـة معمقـــة تـــستخرج عبرهـــا وفوائـــدها، إذ أنهـــا ظلمـــت ولم تعـــط حقهـــا مـــن الدراسة والبحث.

خلاصة خبرته في الدعوة إلى الله عز وجل:

كان محب الدين يرى أن الإسلام الصحيح لن ينتشر في عالم الناس إلا بثلاث خطوات:

١- تفرغ أهل العلم من الأزهريين والجامعيين لتتبع قواعد الإسلام واستقصائها وحصرها، وتحري فقه سلف الأمة لهذه القواعد، والتي سعوا بها وتنزيلها على واقعنا بفهم وعلم.

٢- العمل بذلك وتربية المسلم لنفسه على العمل بسنن الإسلام وقواعده في نفسه وبيته وأسرته ومحيطه.

٣- الدعوة إلى ذلك بإخلاص وحسن نية وإتقان.

ولعل هذه الخطوات هي التي يعبر عنها العلامة الألباني بقوله: «التصفية والتربية»، وقد كان بينهما علاقة، ولذلك قام محب الدين بتقديم الطبعة الأولى من كتاب الألباني «آداب الزفاف».

موقفه من غزو الشيعة لمصر:

برغم سلفية محب الدين واطلاعه على كتب ابن تيمية منذ نشأته إلا أنه لم يتعرض لنقد الشيعة في مقالاته لعدم وجود الداعي لذلك، لكن بعد أن قرر الشيعة غزو بلاد السنة عبر إرسال دعاة شيعة لمصر، كأبو عبدالله الزنجاني، ثم عبدالكريم الزنجاني، وثالثهم الشيخ محمد تقي القمي الذي ارسله المرجع الشيعي حسين البروجردي، وقام بتأسيس دار التقريب في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م.

رفض محب الدين فكرة التقريب وحاربها، ذلك أن محب الدين والشيخ الخضر حسين ناقشا أبو عبدالله الزنجاني في أسس التقريب والموقف من صحيحي البخاري ومسلم، فتبين له أنه شيعي جلْد جاء لنشر التشيع لا للتقريب، وذلك أن محب الدين كان ينادي بالتقريب بين أهل المذاهب في المواقف المشتركة لا تقريب المذاهب نفسها لاستحالة ذلك.

وركز على أن المشكلة هي في المذهب الشيعي الذي يحتوي على عقائد كفرية تطعن بالقرآن والكريم والصحابة وأمهات المؤمنين، وكان يحاجج من يقبل بدعوة التقريب بقوله: «لماذا لم يسعَ الشيعة لإنشاء دار تقريب في طهران أو قم أو النجف أو جبل عامل أو غيرها من مراكز الدعاية للتشيع»، وقد أعلن رأيه بصراحة ووضوح وكتب كتابه «الخطوط العريضة لبيان أسس دين الشيعة الإثني عشرية»، وكتب مقالات رد فيها على قبول حسن البنا بمبدأ التقريب مع الشيعة.

الخاتمة:

بقي محب الدين يجاهد بقلمه وعلمه حتى الرمق الأخير، فقد توفي في المستشفي ومعه مسودات المجلد الثالث عشر من كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، وذلك سنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، فرحمه الله رحمة واسعة.

مراجع للتوسع:

١- محبّ الدين الخطيب، حياته بقلمه، مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي، ١٩٧٩م.

٢- فهرس المكتبة السلفية سنة ١٣٤٩هـ، المطبعة السلفية.

٣- محب الدين الخطيب أفكاره وجهوده في الإصلاح الإسلامي، سعد مناور، رسالة جامعية غير منشورة.

٤- قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب، رغداء محمد أديب زيدان، رسالة جامعية غير منشورة.

ولادة الجواد ووفاته
تفجّران الخلافات بين الشيعة

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

كانت وفاة كل إمامٍ من أئمة الشيعة كفيلة بأن تفَجّر الخلافات بين أتباعهم، وتعصف بهم وبنظريتهم في الإمامة، ذلك أن الشيعة قالوا بأن الإمام ينصّ على الإمام الذي بعده، و(إن الإمام لا يغسّله إلا الإمام)، وإنه هو الذي يُصلي عليه، وهو ما لم يكن يحدث في أكثر الأحيان.

وتعتبر ولادة الجواد (وكذلك إمامته ووفاته) من أكثر المحطات التي اختلف فيها الشيعة حول أئمتهم رغم زعمهم أن الإمام منصوص عليه من الله، وأن منصب الإمامة كالنبوة، بل هو أكبر وأعظم.

من هو الجواد؟

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (١٩٥ - ٢٢٠هـ) قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة): «إن محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سمي الجواد، ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة... وكان المأمون زوّجه بابنته، وكان يرسل إليه في السنة ألف ألف درهم، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، ومات بها».

والجواد عند الشيعة الإثنى عشرية هو تاسع أئمتهم المعصومين، وكنيته أبو جعفر الثاني، تمييزا عن إمامهم الخامس، أبي جعفر الباقر.

الخلاف منذ الولادة

وبدأت خلافات الشيعة حول الجواد منذ لحظة ولادته، ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) أن أهل بيت علي الرضا (والد الجواد والإمام الثامن) شكّوا بصحة نسبة ابنه الجواد إليه لسواد بشرته، ولتأخر والده في الإنجاب، ما جعلهم يلجؤون إلى القافة[1] لحسم الموضوع.

ثم الإمامة

وعندما بلغ الجواد السابعة من عمره، كان الشيعة على موعد جديد من الخلاف والصراع، فقد توفي علي الرضا في خراسان (إيران حاليا)، بينما ابنه الطفل الصغير في المدينة المنورة، ولم يحدث شيء ممّا ادّعاه الإمامية الإثنا عشرية مِن أن الإمام يغسله الإمام الذي بعده، ويصلي عليه، إضافة إلى أن الجواد آنذاك طفل صغير، لم يكن بمقدوره التصرف بماله، وليس له من الأمر شيء، فكيف يتولى منصبا يعتبره الشيعة أكبر من النبوة؟!

يقول الكاتب: «وبينما كان (الإمامية) يحاولون إثبات إمامة الرضا بالنصوص والمعاجز، توفي الإمام الرضا في خراسان سنة ٢٠٣هـ وكان ابنه (محمد الجواد) يبلغ من العمر سبع سنين، مما سبب في حدوث أزمة

(*) كاتب أردني.

(١) جمع (قائف)، وهو «من يُحسن معرفةَ الأثر وتتبُّعَه». وجاء في تعريفه أيضا: «من يعرف نسب الإنسان بفراسته ونظره إلى الأعضاء والذي يعرف الآثار».

جديدة في صفوف الإمامية، وشكل تحديا كبيرا للنظرية الوليدة، حيث لم يكن يعقل أن ينصب الله تعالى لقيادة المسلمين طفلا صغيرا محجورا عليه لا يحق له التصرف بأمواله الخاصة، غير مكلّف شرعا، ولم تتح له الفرصة للتعلم من أبيه الذي تركه في المدينة وله من العمر أربع سنوات».

ويبين الكاتب أن الشيعة الإمامية افترقت حينها إلى عدة فرق:

• فرقة عادت إلى الوقف على موسى الكاظم (الإمام السابع) وتراجعت عن إيمانها بإمامة الرضا، ورفضت الاعتراف بإمامة الجواد، قائلة إنّ مَن كان محجورا عليه لصغر سنه وعاجزا عن التحكم بدرهم واحد من ماله الخاص، بطل أن يكون إماماً، لأن الإمام هو الوالي على الخلق في جميع أمور الدين والدنيا، والمأمون على أموال الله تعالى كلها، وعلى الشريعة والأحكام...

• وفرقة اعتبرت أن الإمام بعد الرضا: أحمد بن موسى (شقيق الإمام الرضا)، قائلين إن الرضا أوصى إليه ونصّ بالإمامة عليه.

• والتفّ بعض الشيعة حول محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن أبي طالب، الذي ثار على الخليفة العباسي، المعتصم بالله، في الطالقان سنة ٢١٨هـ.

•وفرقة قالت بإمامة الجواد، لكنها اضطربت في الإجابة على مشكلتي العمر والعلم، فذهبت تبحث عن أشياء تثبت صحة إمامته، مِنها قولهم: إذا كان الله قد أعطى النبوة ليحيى عليه السلام وهو صبي كما في قوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيّا)، فلِم لا يعطي الإمامة للجواد وهو صغير كذلك؟! وهذه الفرقة هي التي عُرفت فيما بعد باسم الإثني عشرية.

والوفاة كذلك

ومثلما فجرت إمامة الجواد الخلافات بين الشيعة، كانت وفاته كذلك، يقول الكاتب: «وقد تكررت مشكلة صغر عمر الإمام الجواد مرّة أخرى مع ابنه علي الهادي، حيث توفي الجواد في مقتبل عمره ولمّا يكمل الخامسة والعشرين، وكان ولداه الوحيدان علي وموسى صغيرين لم يتجاوز أكبرهما السابعة».

واختلف الشيعة واحتاروا في هوية الإمام الجديد، فساق بعضهم الإمامة إلى ابنه علي (الهادي)، في حين اعتبر آخرون أن الإمام هو ابنه الآخر موسى (المبرقع)، يقول الكاتب: «يقصّ علينا الكليني والمفيد ذلك الغموض وتلك الحيرة التي أصابت الشيعة في أمر الإمام بعد الجواد، وعدم معرفة كبار الشيعة بهوية الإمام الجديد، واجتماعهم عند محمد بن الفرج للتفاوض في أمرها، ثم مجيء شخص وإخبارهم بوصية الإمام الجواد له – سرّا- بإمامة ابنه علي الهادي».

وعلى الرغم من هذا الخلاف، ساق تيار من الشيعة (الإثنا عشرية) الإمامةَ إلى علي الهادي[1]، وأصبح عندهم عاشر الأئمة المعصومين، ما عرّض نظرية الإمامة إلى مزيد من التهاوي والسقوط: إذ كيف ينصّب الله طفلا لقيادة المسلمين، في الوقت الذي يُمنع هذا الطفل من التصرف بدرهم من ماله إلى أن يبلغ؟

يقول الكاتب: «ولأن الهادي كان صغيراً عند وفاة الجواد فقد أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقات والرقيق إلى (عبدالله بن المساور) وأمره بتحويلها إلى الهادي عند البلوغ ... وهذا ما دفع الشيعة إلى التساؤل: إذا كان الهادي بنظر أبيه غيرَ قادر على إدارة الأموال والضياع والنفقات لصغره فمَن هو الإمام في تلك الفترة؟ وكيف يقوم بالإمامة طفل صغير؟ وهو سؤال كان قد طرحه البعض عند وفاة الإمام الرضا مِن قبل، وذلك عندما كان الجواد طفلا صغيرا».

للاستزادة:

•أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمّان، ١٩٩٧م.

(١) ذكره الإمام ابن كثير في كتابه) البداية والنهاية (في وفيات سنة254 هـ، وقال فيه: «وقد كان عابدا زاهدا، نقله المتوكل إلى سامرا، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها في هذه السنة.

التشيع ومخاطر الانصهار

بوزيدي يحيى(*)– خاص بالراصد

يقف المهوّنون من خطر التشيع عند استحالة انتشاره في المنطقة المغاربية لفشله في ذلك خلال حقبة الدولة العبيدية أو الفاطمية، وأن تجانس المجتمعات المغاربية دينيا وحتى مذهبيا أهمّ حصن ضد التشيع، ولكن ما يغفل أو يتغافل عنه هذا الطرح من الأطراف المحسوبة على الدعوة الإسلامية أنها لا تضع في الحسبان مخاطر أخرى للتشيع ليس بالضرورة انتشاره كعقيدة كاملة، ولكن من الممكن أن يحدث ترسب لبعض المعتقدات الشيعية على شكل بدع جديدة كما حصل خلال الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا.

ولكي نقرب ما المقصود بهذه المخاطر، نعود إلى زمن الدولة الفاطمية ونتساءل: هل كان يتصور أو يتخيل العلماء الذين عاصروا ذلك العهد أنه بعد عشرة قرون سيأتي من يحاول أن يستند على تلك الحقبة ليشرعن للتشيع في المغرب الإسلامي؟ الجواب طبعا وبكل تأكيد هو بالنفي. ونفس السؤال نطرحه الآن: هل يمكن تصور - بعد عشرة قرون- ما سيكون عليه التشيع؟ وماذا سيفعل عندئذ بموروث هذه الحقبة؟

(*) كاتب جزائري.

سيناريو الانصهار:

لمعرفة أمارات مثل هذه المخاطر يتوجب الإجابة على سؤال مستقبل الظاهرة، ومن خلال التمعن في الواقع واستحضار مختلف الآراء حول الموضوع يمكن الحديث عن ثلاثة سيناريوهات للتشيع في المنطقة المغاربية أو المناطق التي لم تشهد تواجدا شيعيا كمصر أو بعض الدول الإفريقية.

السيناريو الأول: الانتشار

وهو سيناريو مستبعد بشكل كامل نظرا لتجذر المعتقدات السنية في المنطقة المغاربية، وفشل محاولة التشيع التي قام بها العبيديون زمن الدولة الفاطمية، فضلا عن ممانعة قطاع واسع من المغاربة للتشيع وغيرها من المعوقات التي تحول دون تمدد التبشير الشيعي.

والسيناريو الثاني: الاندثار

وهو محل تساؤلات عديدة إذ لا يمكن الجزم بأن الحالة الشيعية الجديدة ستندثر بشكل كامل ونهائي، لإمكانية وجوده لكن بمستوى محدد[١]، وتحقق هذا السيناريو مرهون بوجود استراتيجيات شاملة ومتكاملة لمحاربة هذا الفيروس[٢].

(١) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع انظر: بوزيدي يحيى، هل بدأ طور جديد من التشيع؟، الراصد، العدد ١١٩، ٢٠١٣/٠٣/٢٣، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6094

(٢) انظر: بوزيدي يحيى، في الحاجة لاستراتيجية مضادة للتشيع بالجزائر، الراصد، العدد ١٢٤، ٢٠١٣/٠٨/٠٩، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6332

أما السيناريو الثالث: الانصهار

فهو مرتبط بالسيناريو الثاني، فإذا كان الانتشار الشامل والكامل للتشيع شبه مستحيل فليس معنى ذلك أنه سيندثر لا محالة، خاصة إذا استمر التغافل عن مواجهة هذا الخطر، وحتى إذا كانت العوامل الطبيعية منفردة ساهمت في انحصاره واضمحلاله فإن وجود أو بقاء آثار للتشيع أمر غير مستبعد، بل من المؤكد في هذه الحالة أنها ستنصهر داخل بوتقة طقوس العادات والتقاليد بطريقة ما على المدى البعيد.

اللامستحيل اجتماعيا

ما دامت المسألة تتعلق بتساؤلات على المدى البعيد جدا، مما يصعب التكهن بها فالأحرى في هذه الحالة ضرب أمثلة بالواقع الحالي الذي أصبح فيه إجماع على تواجد آلاف المتشيعين في الدول المغاربية. فهل كان يتخيل أو يتوقع في الخمسينيات مثلا أو العشرينيات زمن الحركة الإصلاحية أنه بعد عقدين أو ثلاثة سيظهر بضعة آلاف شخص في الجزائر أو تونس يسبّون الصحابة ويطعنون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟

لو طرح سؤال من هذا القبيل على رواد جمعية العلماء لاستبعدوه ربما، وقالوا باستحالته كما يقول اليوم كثيرون رغم أنهم يسمعون ويرون وجود متشيعين بين ظهرانيهم، ولكن هذا حاصل الآن وليس ضربا من الخيال، فكيف حدث ذلك؟

يمتلك التشيع منظومة متكاملة من الشبهات العقدية التي تخدع بسطاء الناس من غير المطلعين على العقيدة الإسلامية، وعملية الاستقطاب أو التشيع تمر عبر مراحل تبدأ بالتشكيك في عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال الطعن في أمهات مصادرها (صحيحي البخاري ومسلم)، ويعيش حينها الضحية في حالة قلق واضطراب، ثم تبدأ المرحلة الثانية في إبراز ما يفترض أنها تناقضات في الصحيحين أهمها عدم إنزال آل البيت المنزلة التي نص عليها القرآن الكريم ووصى بها رسول الله ﷺ، لتنتهي إلى أن ما وقع هو مؤامرة كبيرة على الإسلام لحرف الناس عن طريقه الصحيح ممثلا في نهج آل البيت، وأن من خطط ودبّر لها هم الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولا تتوقف عملية التشييع هنا لأنها مازالت في مرحلة القلق والاضطراب التي لا يمكن أن تحدث مفعولها وتستمر إذا لم تكن منظومة الشبهات قوية ومتعددة، وهذا التعدد هو الذي يسمح بتحويل تلك الشبهات إلى عقائد عندما يتجرأ الضحية على انتقاد كبار الصحابة، والسخرية منهم ثم سبهم لاحقا.

وتكتمل عملية التشيع حين تتحول الشبهات إلى عقائد متبناة كتحريف القرآن وتكفير الصحابة والقول بالإمامة والعصمة، ويصبح الضحية مقتنعا بكل ما يقال له باستسلام ويتلقى جرعات جديدة من الروايات التي لا يعترف بها بعض الشيعة أنفسهم، والتي لو تلقاها في المرحلة السابقة لما كان في مقدرته استيعابها ولكَفر بملة التشيع.

أهم ما يستخلص من هذا التوصيف أنه لا مجال للحديث عن المستحيلات في طبيعة الإنسان والظواهر الاجتماعية المحيطة به، لذلك فإن كل السيناريوهات تبقى واردة بخصوص مستقبل التشيع وحتى «الانتشار».

القبول المجتمعي:

هذه العملية في نشر التشيع لا تتم في غرف مغلقة فالمتشيعون لم يعودوا يخشون من المجاهرة بمعتقداتهم، وإضافة إلى ما تقوم به القوى الشيعية عبر وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية والموجهة لكل الفئات العمرية من الأطفال، قنوات (طه، الهدهد، الهادي) إلى المسلسلات التي تحرف التاريخ الإسلامي ليتطابق مع وجهة النظر الشيعية، والقنوات الدينية الشيعية، وأخطر من هذا كله، ما تلوكه بعض الألسنة المنسوبة أو المحسوبة على أهل السنة والجماعة والتي لا تجد غضاضة في ترديد الشبهات الشيعية تحت شعار نقد التراث، فضلا على سجالات مواقع التواصل الاجتماعي واستغلال المتشيعين للنقاشات التي

تجري في تلك الفضاءات لبث أفكارهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

هذه النشاطات مجتمعة تمهد لنوع من القبول المجتمعي بحيث يصبح سب الصحابة والتنقص منهم في إطار الطبيعي والعادي وحتى الحرية الشخصية في المعتقدات، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في انصهار التشيع في المجتمعات السنية.

وقد تتحول بعض الطقوس الشيعية إلى حالة عامة عن وعي أو غير وعي خاصة عندما تتسلل بين الكثير من بين المنافذ والفراغات التي أحدثتها البدع والخرافات في المجتمعات السنية، وهذا ما حصل ويحصل داخل الطرق الصوفية التي استغل الشيعة مغالاتها في الأولياء للانتشار داخلها، ثم التحالف معها لاحقا ضد الاتجاهات السنية الأخرى خاصة منها السلفية التي تجاهر بعدائها ومحاربتها.

عاشوراء نموذجا:

أهم طقس شيعي انتقل من إيران والعراق إلى الدول المغاربية هو طقس عاشوراء، حيث يقوم الشيعة بالاحتفال به في جماعات صغيرة بطريقة سرية، وحاولوا أكثر من مرة الجهر به، حيث كانوا يستغلون الأضرحة وأماكن تواجد الصوفية للقيام بهذه الطقوس لعدم لفت الأنظار، وحجم ونوع الاحتفال يختلف من بلد إلى آخر، ففي تونس وخاصة بعد التحول السياسي الأخير أصبح إحياء مناسبة عاشوراء أكثر وضوحا مقارنة بالجزائر، ومن المؤكد نظرا لطريقة إحياء الطقس أنه على المدى القريب والمتوسط أن يتصاعد إحياء عاشوراء في المنطقة على الطريقة الشيعية، مما يطرح تساؤلاً حول ما يمكن أنه يفرزه هذا الطقس الاحتفالى من مظاهر بدعية جديدة؟

الدافع لهذا التساؤل هو الآثار التي خلفها هذا الطقس بعد الحقبة الفاطمية في المنطقة فهو أحد البدع الموروثة عنها، وإن أصبحت الطقوس الممارسة الآن لا تنطلق من أساس شيعي وإنما تحولت إلى مجرد عادات وتقاليد لا يدري الكثيرون معانيها إلا أن هذا لا ينفِ الخلفية الشيعية عنها، والتي ينبش المتشيعون فيها ليشرعنوا لتشيعهم ويضخمونه لدرجة اعتباره هو الأصل والسنة استثناء، والأخطر من هذا المطالب التي برزت في المملكة المغربية التي دعت السلطات لتحوّل يوم عاشوراء إلى يوم عطلة مدفوعة الأجر لتمكين شيعته من الحزن على مقتل الحسين رضي اللّه عنه، وهو ذات الطلب الذي قوبل بالرفض من شيعة مصر الذين طالبوا بذات الحقوق التي حصل عليها الأقباط[1].

وبغضّ النظر عن تحقيق هذه المطالب من عدمه فإن ما يمكن الجزم به أن الطقس العاشورائي الحالي سيورث بدعا وضلالات جديدة كما حصل مع الطقس الموروث عن العبيديين، فمن خلال التقارير الإعلامية حول مراسم عاشوراء يمكن رصد الكثير من البدع والشركيات المرافقة له على غرار رش الماء على الممتلكات، لإبعاد العين، والتطير من الملح والمكانس، وإشعال نار كبيرة ومرور الحيوانات والناس على دخانها اعتقادا ببركته وطرده للأرواح الشريرة، وقطع النساء جزءا من شعورهن اعتقادا منهن أن طوله سيزيد. وبعض النسوة يجدن المناسبة فرصة للشعوذة والسحر، وفي الجزائر وتحديدا في جبل منقاس بسطيف، يوجد شبه أثر يعتقد البعض أنه أثر لفرس علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فيتبركون بهذا الأثر الوهمي، فضلا على زيارة الأضرحة التي تعم كل الدول المغاربية.

وإذا كان البعض ينفي علاقة الاحتفال بعاشوراء باليهود ويعتبره تقليدا بدأ في عهد الأتراك الذين يقال إنهم كانوا أذربيجانيين شيعة، فإن عادة رش الماء في المغرب انتقلت تأثرا باليهود هناك.

ولاشك أن الموجة الجديدة والمعاصرة لإحياء عاشوراء سترافقها بدع أخرى ما أنزل اللّه بها من سلطان، بداية بالتجمعات السرية التي تعتبر أول

(١) الجزائر هي البلد االمغاربي الوحيد الذي جعل عاشوراء عطلة رسمية، الشروق اليومي، ٢٠٠٩/١٢/٢٦، على الرابط:
http://www.echoroukonline.com/ara/?news=46119

العلامـات البدعيـة، واسـتغلال المجـالات العامـة للظهـور العلـني ضـمن مـا هـو معتـاد مـن نـشاطات، وممارسـة التقيـة أو الجهـر بهـا إذا أمكـن، ومـن الأمثلـة علـى ذلـك احتفـالاتهم العلنيـة في تـونس ومحـاولاتهم ذلـك في مدينـة سـطيف وعـين تموشـنت بـالجزائر، ومـا كـانوا يقومـون بـه في مدينـة بـسكرة، حيـث يوجـد ضـريح خالـد بـن سـنان هـذا الـولي الـذي يـزوره الـشيعة للاعتقـاد الـسائد أن شـجرة نسبه تصله بأهل البيت.

ولا تخلُ العاصـمة مـن مثـل هـذه الممارسـات، ففـي سـيدي الكـبير بلديـة رايـس حميـدو، تـشهد سـنويا طقوسـا شـيعية إحيـاء لهـذا اليـوم، حيـث تـزور جماعـة متكونـة مـن قرابـة أربعـين شخـصا ليلـة العاشـر مـن محـرم إحـدى الفـيلات الـتي حـسب المعتقـدات الـسائدة تحـوي ضـريح سـيدي الكـبير الـذي سميـت المنطقـة باسمـه، والـذي يـروى أنـه مـن أحفـاد الحـسن بـن علـي رضـي الله عنـه. فيقـضون الليلـة بأكملـها في إحيـاء ذكـرى عاشـوراء الأليمـة في تـاريخهم بعيـدا عـن الأنظار ويمارسون اللطم وتعذيب الذات[1].

وكمـا سـبق الإشـارة فـإن المتـشيعين اشـتغلوا كـثيرا علـى هـذا الـتراث البـدعي، وحـاولوا توظيفـه لخدمـة مـشروعهم، والـدفاع عـن تواجـدهم في المنطقـة، وأهـم وأخطـر مـا يتـداول في هـذا الـسياق عـزفهم علـى الـوتر العرقـي ومحاولـة استمالة البربـر مـن خـلال الـزعم بـأن أصـولهم شـيعية. لكـنهم يقعـون في تناقـضات فجـة. فبينمـا يـدللون علـى زعمهـم بأصـالة التـشيع في المنطقـة بـبعض الطقـوس الـتي تعـبر عـن شـهادة الحـسين رضـي الله عنـه، وأبرزهـا مـا يمكـن وصـفه بـالعرض المـسرحي الـذي يـصف معركـة الطـف في كـربلاء، والشخـصية المـشتركة الـتي تختلـف في الأسمـاء وتتـشابه في دلالاتهـا الأنثروبولوجيـة ممثلـة في «الـشايب عاشـوراء» وصـراعه مـع «الـسبع»، في الجزائـر وتـونس، وشخـصية الشيـصباني في ليبيـا، و«بابا عيشور» في المغرب.

وزيـارة الأضـرحة في شـهر محـرم دليـل علـى رابـط قـوي في نظـرهم بـين المغاربـة والـشيعة، وتخـصيص الجزائـريين الزكـاة في يـوم عاشـوراء يفـسر علـى أنـه تكتيـك سياسـي مـدروس قـام بـه الـشيعة بعـد سـقوط الدولـة الفاطميـة بعـد مـنعهم مـن الاحتفـال بعاشـوراء وذلك بقرنها بشعيرة إسلامية[2].

ودجـل الـشيعة والمتـشيعين يكمـن في اسـتدلالهم بمثـل هـذه الطقـوس لـيس علـى مـرور التـشيع بالمنطقـة كحالـة عـابرة وإنمـا علـى تجـذره ورسـوخه فيهـا، وفي المقابـل هـم أنفـسهم يعتـبرون مظـاهر أخـرى للاحتفـال الـتي تأخـذ طـابع الفـرح والـسرور مـن فعـل النواصـب وهـي مـن بـين الأسـباب الـتي دفعـت الـبعض مـنهم للتـشيع. فـإذا كانـت مظـاهر الحـزن تـدلل علـى أنهـم شـيعة فهـل مظـاهر الفـرح دليـل علـى أنهـم نواصـب أيضا؟!

وبغـضّ النظـر عـن هـذه التناقـضات الـشيعية فـإن الثابـت في الحـالتين اسـتغلال المتـشيعين لهـذه البـدع، وهـذا لوحـده سـبب كـافٍ لـضرورة محاربتهـا كلـها، ولكـن للأسـف نجـد مَـن يـشرعنها بوضـعها في إطـار «العـادات والتقاليـد». وحتـى إذا سـلمنا جـدلا أنهـا كـذلك فـإن مثـل هـذه العـادات والتقاليـد أصـبح مـن الجلـي خطرهـا علـى الـدين إن عـاجلا أم آجـلا، وبالتـالي تحتـاج لوقفـة جـادة معهـا. ولاشـك أن أفـضل مخـرج مـن هـذه التناقـضات والبـدع المتقابلـة العـودة إلى الـسنة النبويـة بـصوم عاشـوراء دون أي إضـافة، لقطـع دابـر البـدع الـتي أول مـا تفعلـه إماتـة سـنة، وتتكـاثر عنها بدع أخرى.

فـالموروث الثقـافي عـن الحقبـة الفاطميـة ومـا قبلـها أو بعـدها يـدخل في إطـار «إنـا وجـدنا آباءنـا علـى أمـة» ومـن هنـا يتوجـب محاربـة هـذه المظـاهر الـتي التـسليم باسـتحالة اضـمحلالها لا يعـني طغيانهـا في المجتمـع،

---

(١) عاشوراء في الجزائر.. بين عادات الأجداد وأسئلة التشيع، جريدة الفجر، ٢٠١١/١٢/٠٣، على الرابط:
http://www.al-fadjr.com/ar/index.php?news=199073%3Fprint

(٢) علاء الخطيب، موروثات عاشوراء في الجزائر، موقع كتابات، على الرابط:
http://kitabat.info/subject.php?id=11988

ولعل مظاهر العولمة التي أتت على الكثير من القيم الاجتماعية بسلبياتها وإيجابياتها ساهمت في ابتعاد الناس عن هذه العادات (البدع) ولكنها من جهة أخرى فتحت الباب لبدع أخرى.

ومن المعلوم أن التطبير والضرب بالزناجيل الذي يقوم به الشيعة الآن في العراق وإيران وغيرهما هو محصلة تطور بدأ بمجرد بكاء وحزن على خذلان الحسين رضي الله عنه، والنقلات النوعية لهذه الطقوس كانت بتبني بعض الأنظمة السياسية لها، خاصة في عهد البويهيين، ثم لاحقا في العهد الصفوي. الذي كانت إيران قُبيله دولة سنية أما الآن فعلى الأقل أكثر من نصفها شيعة.

وفي هذا الإطار يجب أن لا نغفل محاولة معمر القذافي في ليبيا اللعب على هذا الوتر وحديثه عن إحياء الدولة الفاطمية، وربما يكون القذافي نسخة فاشلة من الشاه إسماعيل الصفوي، ولكن هناك احتمال لنسخة أخرى قد تنجح في مستوى من المستويات.

الخلاصة:

المخاطر التي أشرنا إليها أعلاه والتي إذا توقفت عن حدود إمكانية الانصهار على شكل بدع وخرافات هي بالأساس شرك بالله عزوجل واستمراريتها تعيق المشروع الحضاري الذي تطمح إليه الحركات الإسلامية. وكما كان التشيع في بداياته مجرد «تشيع سياسي» دون أن يكون عقديا، وهو الشعار الذي رفع حينا من الزمن من طرف المهونين من خطر التشيع حيث كانوا يبررون علاقتهم بالشيعة بأنها لا تتعدى التعاون السياسي في مجابهة الخطر الصهيوني ليثبت الواقع لاحقا تهافت هذا الطرح، فالشيعة عند أول محك حقيقي لم يجدوا غضاضة في الكفر بالتقريب ولم يتوانوا في طعن الإخوان المسلمين في الظهر، بعدما استغلوهم طيلة العقود الثلاثة السابقة في تحقيق مشاريعهم، كما أثبت الواقع وجود خيط رفيع جدا بين التشيع السياسي والتشيع الديني، وأن الأول ينتهي في الأخير إلى الثاني في الكثير من الحالات.

فهذا المستوى من المخاطر كفيل بدقّ ناقوس الخطر من التشيع، قبل أن يستفحل المرض، فلا نستغرب وليس مستحيلا في يوم من الأيام أن نصحو على ضريح منسوب لآل البيت رضوان الله عليهم أو لأحد مراجعهم المعاصرين في شمال إفريقيا وقد جعل منه الشيعة مكانا لإحياء طقوس عاشوراء، ثم تؤسس إلى جانبه حسينية لتصبح المهدية أو قابس أو أي مدينة مغاربية أخرى نجف أو قم شمال إفريقيا.

المشهد العراقي بعد تأجيل الضربة على سوريا الواقع والحل

سمير الصالحي(*) – خاص بالراصد

تأجلت ضربة النظام السوري أو إن شئت قل رحّلت إلى أجل غير مسمى، فطبخة الكبار لا تزال على النار، لم تتضح بعد، وأصبح المهم هو التخلص من السلاح الكيماوي، ولم يعد التشنج والاضطراب هو سيد الموقف في العراق نتيجة لذلك، لكن العراق بذاته يغلي- حتى لو لم توجد مشكلة سوريا أصلا - وغليانه لأمور أخرى مستمرة، فالشيعة يريدون ولادة عراق شيعي جديد، والسنة يقاومون جهدهم مع تقصير واضح، والكرد السنة في طور البناء لدولتهم المنتظرة.

في العراق قتلٌ يومي يصل معدّله إلى نصف أو ثلث عدد القتلى اليومي في سوريا، فهي حرب غير معلنة، وقد شهد شهري ٨- ٩ تصعيد كبيراً على عدّة أطر منها:

- تهجير في الجنوب لعشائر آل السعدون السنية من محافظة البصرة (هجرت ١٠٠ عائلة) حتى أعترف رئيس الوزراء العراقي بذلك، والتهجير في محافظة ديالى مستمر.
- تفجيرات مساجد السنة بعد صلوات الجمعة

(*) كاتب عراقي.

في محافظتي ديالى وبغداد.

- اعتقالات مستمرة على قدم وساق لأهل السنة، وتهمة ٤ أرهاب أصبحت سنة إرهاب.

- الرعب يلف العاصمة العراقية، فعند الساعة الثالثة عصرا يغلق كل شيء في بغداد وهناك شلل اقتصادي واضح في العاصمة.

- نشاط واسع جدا في المناطق السنية للقاعدة، ودخول ملف قاعدة العراق مع سوريا.

- اعترافات لمجموعات شيعية - لا ندري لحساب من تعمل- بتنفيذ عمليات تفجير في المناطق الشيعية! طبعا إيران واحدة من هؤلاء، لكن السؤال هل توجد جهات أخرى غير إيران تعمل بالعراق؟

- تصاعد الفساد على الصعيد الإقتصادي والإداري والسياسي.

هذا هو المشهد العراقي والذي هو متناغم مع مشهد الاضطراب الدولي لاسيما في منطقة الشرق الأوسط.

موقف إيران داخل العراق:

توجهات إيران السياسية بعد انتخاب الرئيس روحاني نحت إلى سياسة جديدة مع الغرب حول عدة ملفات منها ملفها النووي، ودخول مرحلة جدية من التهدئة، لكن السؤال هل ينعكس هذا على سياستها في العراق؟

في الشأن العراقي لا تزال استراتيجية إيران المنظورة هي مزيد من إحكام السيطرة على أغلب مناطق العراق، وتقوم بتنفيذها عبر التكتيكات التالية:

الأول: التمدد للسيطرة على محافظة ديالى.

الثاني: تطهير محيط بغداد من السُنة تدريجيا.

الثالث: هو السيطرة على منطقة النخيب عسكريا.

والنقطة الأولى والثانية بمثابة تمهيد للسيطرة الكلية على العاصمة، بحيث لا يتبقى إلا أقليات سنية في العاصمة وما جاورها، وهذا حلم شيعي إيراني قديم.

والأمور تسير وفق الخطة المرسومة:

ففي محافظة ديالى ومناطقها السنية تسرح وتمرح الميلشيات الشيعية، وتقوم بالقتل والتفجير والتهجير بشكل مدروس، كميلشيات كجيش المختار، وثأر الله، وعصائب أهل الحق، وكل هذه لها صلة بشكل أو آخر بالقوى الأمنية الحكومية، أو تتحرك تحت مرمى نظر الجيش والشرطة، وبعضها يرتبط مباشرة بإيران.

أما في محيط بغداد، فقد استغل الشيعة هروب سجناء القاعدة من سجن أبي غريب، لإطلاق عملية ثأر الشهداء، لتحصد أرواح أهل السنة من محيط بغداد، دون أن يتحرك الجيش (الوطني) والذي يسمع تصريحات القوى الأمنية والميلشيات لأهالي المناطق السنية جهاراً نهاراً أنّ جميع أهل السنّة سيرحلون من مناطقهم اليوم أو غداً.

ومنذ أكثر من شهر دخلت قوات عراقية وإيرانية عسكرية داخل الصحراء الغربية وتمركزت في مناطق عدة ومنها منطقة النخيب، للتمهيد لقوات أخرى إيرانية للانتشار بشكل أعمق للوصول قرب الحدود العراقية السورية والعراقية الأردنية.

وتمهيداً لشرعنة هذا الإستيلاء على منطقة النخيب، فقد تم ضخ أموال طائلة لشخصيات معروفة ومؤثرة في محافظة الأنبار تمهيداً للموافقة على أي استفتاء يجري حول انضمام منطقة النخيب إلى محافظة كربلاء، والهدف من ضم منطقة النخيب لمحافظة كربلاء هو عزل السعودية عن المحيط السني العراقي واقتراب إيران من حدود الأردن.

إن الحكومة الإيرانية والنخب العراقية الشيعية تدرك أن الوضع في العراق سينتهي مستقبلا وبرضى دولي عن ظهور إقليم سني أو أقاليم سنية ولكن ليس الآن، ولذلك تعمل القوى الإيرانية والأحزاب الشيعة العراقية على استباق الزمن بحيث ينشأ يكون إقليم سني ضعيف، لا تدخل فيه محافظة ديالى ولا بغداد !!

وضع الحكومة العراقية (الشيعية) اليوم:

الحكومة العراقية الشيعية مضطربة؛ لأن كل المنطقة (العراق ومن حوله من البلاد) تغلي ولا أحد - حتى أمريكا وإسرائيل ولا إيران- يعلم ما الذي يجري أو إلى أين تسير الأمور، فكل شيء متسارع ومتغير، وتخشى إيران والأحزاب الشيعة العراقية أن تنزلق وتنعكس التغيرات في سوريا عليها سلباً، خاصة مع وجود مناطق عراقية أصبحت منفلتة ويصعب السيطرة عليها، لذلك تشعر الحكومة العراقية والإيرانيون أن زمام أمور في المناطق السنية العراق الداخلية اليوم ليست بيدها بنسبة عالية.

وأما بخصوص تنظيم القاعدة، فهو تنظيم قابل للزواج المؤقت وليس الدائم، وقد فعل ذلك مع إيران وأمريكا، فهو يؤجر ولا يشترى وعقوده مؤقتة قابلة للنقض، لذلك تستطيع أي جهة أمنية أو دولية أن تستخدمه وهو كذلك يستخدمها؛ وهو يلعب لصالحه ولصالح غيره، وقد يعقد صفقة مع طرفين متناقضين في آن واحد فالذي يتعامل معه يعلم أنه غير مأمون الجانب !

المالكي والولاية الثالثة:

أما المالكي اليوم لا يفكر إلا بالانتخابات القادمة كي يحصل على ولاية ثالثة؛ فرغم فشل وتراجع شعبية قائمة (دولة القانون) في انتخابات مجالس المحافظات في مقابل التيارين الشيعيين (الصدر، وعمار الحكيم)، إلا أن المالكي في المقابل لا يزال يحظى بدعم إيراني لولاية ثالثة، ونوع من الموافقة الأمريكية الأولية، وقد استطاع بواسطة تهديد المخالفين بالمحاكمات عبر تلفيق التهم، بإيقاف صدور قانون حصر ولاية رئيس الوزراء بولايتين.

ومما يخيفه أكثر أم محللين أمريكان يكتبون ويشيرون أن العد التنازلي للمالكي بدأ.

فهو يواجه خصومه الشيعة من الصدريين والمجلس الأعلى (عمار الحكيم) بالمحاربة والإقصاء، ويعطل أي قانون أو مشروع في مجلس النواب لمحاسبة الضباط الأمنيين عبر نوابه من أمثال عدنان الشحماني وغيره، وعبر تهريب أي شخص يمكن أن يفضح فساد الأجهزة الأمنية لخارج العراق؛ كما حصل بهروب المجرم اللواء الركن ناصر غنام مع ٥٠٠ من اتباعه إلى أوربا، بعد أن هرب مبالغ هائلة تصل إلى مئات الملايين من الدولارات، بعد أحداث سجن أبي غريب!

المالكي فشل فشلا ذريعا خلال حكومتيه الأولى والثانية من بسط الأمن في العراق مع إنه يملك عدد كبير من الجيش والشرطة يصل إلى مليون عنصر، ٩٠٪ منهم شيعة، لكن انعدام الكفاءة - لأنهم قادة ميليشيات وبعضهم قيادات شيعة في حزب البعث سابقا- مع تفشي الفساد في ذممهم، جعل العراق في حالة فوضى وانفلات.

فأتباع مقتدى الصدر يغتالون أتباع للمالكي في الجنوب، وإعدامات في الشوارع مرة للسنة وأخرى للشيعة، ومرة بين الشيعة والشيعة (تصفية حسابات حزبية) وحرق جثث بالشوارع، هذا هو عصر حكومة حزب الدعوة.

أما سياسة المالكي فالجزء الأكبر منها هو إرضاء إيران بتصريف لتجارتها، ويبدو أن بعض من هذا الفساد في العراق هو في حقيقته ليس فساد بقدر ما هو تمويل للمشروع الشيعي في سوريا من جهة، ودعم لإيران واقتصادها لأنها في حصار، فقد تركها المالكي تعبث داخل العراق بشكل رسمي، ووقف معها في الأزمة السورية، هذا من ناحية إيران.

وهو شبه مرضي عليه أمريكياً؛ رغم أن أمريكا تعلم علم اليقين أن إيران تسيطر على المالكي تماماً لكن سياسة أمريكا اليوم في الشرق الأوسط أضحت من الضعف إلى الحد الذي أصبحت لا تريد جديدا غير مجرب في العراق، ولا يزال المالكي خيارا مجرباً معروفاً بعجره وبجره كما يقال. وبيد المالكي اليوم كل الأجهزة الأمنية والجيش، وهو الأقوى شيعيا وسنيا، وأمريكا تلعب مع القوي، وليس أمريكا وحسب بل إنّ القوي

يفرض نفسه على كلّ أحد.

فلا أمريكا ولا إيران بوضعهما الدولي الحالي يريدون تغيير المعروف (المالكي) إلى قادم مجهول، نعم إيران عندها بدائل (صولاغ- الجعفري- هادي العامري)، ولو قارنتهم بالمالكي سيترحم أهل السنة على حكم المالكي!!!

والمالكي يخاطب سنة العراق بكل أطيافهم: أنا القدر القادم فتعاونوا معي خير لكم من غيري وأنا أحسن الأسوأ !! هكذا هو لسان حاله، كما أنه يغدق توزيع المال بين قيادات الصحوات والحزب الإسلامي، وبعض السياسيين كالمطلك والكربولي، وجماعات المصالحة الوطنية، ورجال دين من أمثال مهدي الصميدعي وخالد الملا ومن لف لفهم، وكذلك من رؤساء العشائر في الأنبار من أمثال ماجد علي سليمان شيخ عشائر الدليم، إضافة إلى تجار وأثرياء سنة أعطوا صفقات حكومية، وهم بدورهم ينفقون على مجموعات سنية عديدة، وهؤلاء أصبح الوجود السني رهن بيدهم منذ بداية الاحتلال !!

المشهد السني:

للأسف المشهد السني لا جديد فيه على صعيد الإستراتيجية، إلا أن الخلافات أصبحت محدودة بعد أن كان الاختلاف متنوع وشديد التعقيد، فأنحصر الخلاف بين أطراف معينة، وأما الحراك السني فقد بقي صامداً بعد أن راهن الكثير على فشله، لكن لم يعد كثير الفعالية والتأثير، بعد أن فشل الربيع العربي في الدول العربية، ولكنه مقلق للحكومة لأنه يمثل ظهور للسُنة وكسر لحاجز الخوف لا تريده الحكومة العراقية ولا إيران وهو يمثل نوع صحوة للسُنة وتمرد على الحكومة المركزية إلا أنه لم يلق دعما عربيا حتى ولا إعلاميا.

والحراك السُني منقسم إلى جهات عدة أو بالأحرى إلى ثلاثة أقسام أساسية، جهتين منها تريد الإقليم وهي الحزب الإسلامي - الذي يريد تزعم الحراك- وقادة العشائر والنخب وبعض السياسيين، وإلى حراك رافض للإقليم وهم هيئة علماء المسلمين، وحزب البعث وبعض النخب، وفريق آخر ظاهرة مع الحراك وقد اشترى ذممهم المالكي، فالصراع حول موضوع الإقليم أصبح هو المسيطر داخل الحراك وخارجه.

والصراع داخل التيار العربي السني يتمثل في عقلية شمولية تريد أن يخرج المحتل الأمريكي (هذا سابقا) ويسقط حكومته ويحرر العراق من الحكومة الطائفية وينقذ الأكراد من سيطرة الحزبين؟؟!!

إنه مشروع خيالي يحمل بصمة حزب البعث، عبر عدة واجهات سياسية، ويتابعه على ذلك لفيف من الإسلاميين- مع الأسف- .

والمشروع الآخر أصبح معاند هو الآخر للهوية السُنية والإقليم، ولا يقبل التفاوض، فكأنما أصبح لا يوجد حل داخل العراق إلا هذا أو ذاك. ولكل خطباء ومروجين داخل العراق وخارجه.

كما أن اليأس السني العام من الداخل العربي والدولي أصبح مُسيطراً على النخب والجمهور، لذلك بدأت ترجع لتكون حاضنة لتنظيم القاعدة من جديد، كما كانت في أول الاحتلال ولكن بمبررات مختلفة. والقاعدة منها ما هو حر التوجه ومنها قيادات تابعة لجهات إيرانية وعراقية حكومية ومنها غير ذلك، ووصل الأمر بسيطرة القاعدة على محافظة نينوى حداً أن العائد الشهري (الأتاوات) المالية المفروضة على الناس وصل إلى ٧ مليون دولار شهريا.

كما دخل عامل جديد في المعادلة السُنية وهو ظهور دولة العراق والشام، واتخذت مكانا في منطقة الحضر وبين الحدود العراقية السورية جنوب مدينة الموصل، بعد أن غضّت عنها الطرف الحكومة العراقية (لمصلحتها وبتوجيه إيراني).

ويبدو أن محافظة نينوى يراد لها أن تبقى غير مستقرة من قبل الكرد من جهة والحكومة العراقية من جهة أخرى وإيران لأسباب أخرى؛ منها أن هذه المحافظات تحتوي على كم كبير من

السنة قرابة (٣ مليون سني) وأنهم على كفاءة عالية ويكثر بينهم العسكريون القدامى.

هل هناك من ضوء في آخر النفق (الحلول):

نعم هناك ضوء لو أحسن بعض السنة استغلاله وتوظيفه:

يجب على سنة العراق أن يدركوا انهم بتفرقهم وخلافهم يصبحون خارج المعادلة الدولية والأقليمية والقطرية، فالمقاومة التي كان يحسب لها حساب توقفت بعد خروج المحتل، واختلافهم المتجذر وعدم وجود رأس يرجعون له، جعلهم ورقة لاتحسب حسابها الدول الكبرى عندما تريد التفكير في اللعب في العراق، وأصبحوا قوة هامشية.

قد تكون مشكلة السنة أنهم أصبحوا مسلوبي الإرادة فلا حل عندهم إلا ما جاء من أمريكا وبريطانيا، أو دول الخليج، ونسوا أن الأمور تفرض فرضا، وأن الدنيا تؤخذ غلابا وأن هناك رغبة من قبل الحكومة والأمريكان أن يبقى السياسيون السنة اليوم على اختلافهم، ولذلك نرى جهات تضع قدماً مع السنة، وقدماً مع حكومة المالكي!

وعلى هذا لابد من تجاوز العقد الكبرى والتي هي بؤر الخلاف مثل: الاقليم، السني أم الوطني، وأعتقد أن هذه يمكن أن تؤجل كشأن سني داخلي، ويرجأ النقاش فيها، والتركيز على إيجاد قيادات مقبولة عاقلة، من كل المكونات أو أغلبها.

الحل في العراق ليس بيد فئة دون أخرى، والفئات العراقية السنية هي: الجهات الدينية (الإخوان بشقيهم الحزب الإسلامي، وجماعة الإخوان المسلمين، والسلفية، والصوفية)، والعلمانيين ممثلين بحزب البعث ونخب وطنية التوجه[1]، عشائر، عسكر الجيش السابق، الأثرياء. وظهر مكون جديد هو قيادات الحراك، وطبقة السياسيين المشاركين في الحكم الآن، فنستطيع من كل هؤلاء أن نوجد مكون يمثل كل الطيف السني العربي، قد نصل لهذا التمثيل الكلى للسنة عبر عدة مراحل، ففي البداية قد ننجح في تكوين هيئة تمثل ولو ٣٠٪ من السنة، وقد نجد خلافات على نسب التمثيل في هذا المكون، وقد يحاول الحزب الإسلامي وحزب البعث التحايل للحصول على حصة أكبر في القيادة، ولحل هذا الإشكال لابد من الابتعاد عن طريقة الانتخابات واللجوء إلى التوافق للتخلص من كل ذلك.

هذا التجمع لسنة العراق سيكون الحل لمشكلة سنة العراق، وهو الورقة والمعادلة الجديدة التي سيتراكض جميع الأطراف لخطب ودها، شريطة أن لايهيمن عليها الإخوان أو حزب البعث، فصراعهما من أكبر مشاكل الوجود السني.

وإذا تجمع السنة يمكن أن يتوافقوا مع جزء من الكرد ؛ فالمكون الكردي أقرب للسنة من المكون الشيعي

الخاتمة:

إذن كل ما على السنة محاولات أكثر جدية للتجمع ولو جزئياً، ثم هم من يقرر كيفية الدخول في العمل السياسي ومن يفاوض الغرب بل حتى إيران، وعندها لابد من إيجاد قوى (غير القاعدة) يحسب لها حساب في المستقبل ومستعدة لأي تطور جديد سواء كان عسكريا أو غير ذلك فتحرير سوريا قادم لا محالة مهما طال الزمن، وتطورات سوريا والإقليم كلها تصب في صالح سنة العراق.

---

(١) العلمانيون في العراق أحسن بكثير من علمانيين مصر والمغرب العربي.

الهوية الجنسية للدماغ وتهافت الفكر النسوي شهادة المرأة نموذجا

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

بذلت منظّرات الفكر النسوي جهودا ضخمة على مدار القرن الفائت لإثبات أن جميع الفروق بين الجنسين هي فروق اجتماعية، واشتهرت مقولة سيمون دي بفوار: «إن المرء لا يولد امرأة وإنما يصبح امرأة».

واستماتت هؤلاء النسويات لإثبات أن الفروق البيولوجية ضئيلة جدا وليس لها علاقة بالدور الاجتماعي، وعلى سبيل المثال فإن الفارق الكبير في القوة العضلية لصالح الرجل ليس بذي معنى في عصر حلت فيه الآلة محل المجهود العضلي وأنه لو كان هذا الفارق هو تفوق في صالح الرجل في عصور سابقة فإنه لا يجوز أن يكون كذلك في ظلال عصر النهضة والطفرة التكنولوجية التي نعيشها.

وكان مما زعموا أيضا أن الفارق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة هو فارق بسيط في الوزن ليس له قيمة تذكر في الدور الاجتماعي والإنساني الذي يعيشه كل منهما.

الحقيقة أن هؤلاء المفكرات كن يفرضن أفكارهن على الحقيقة العلمية الموضوعية بمعنى أنهن يحددن الفكرة الاجتماعية ثم يفرضنها على حقائق العلم دون بحث كاف في المسألة.

ومسألة العلم هذه تم استغلالها أسوأ استغلال من قبل الماديين الملحدين حيث تم الترويج للإلحاد باسم العلم، رغم كل هذه الآيات العظيمة المبثوثة في الكون التي تشهد بقدرة الخالق ووحدانيته، والمتأمل لنظرية الانتخاب الطبيعي لدارون وكيف أحدثت من أثر مزلزل على الصعيد الإنساني، وهي نظرية ينظر إليها الآن على أنها من نفايات العلم قد قامت على افتراضات وليس على حقائق وفيها من العوار ما يحتاج لبحث طويل.

ولنقُل الشيء نفسه على نظريات فرويد في التحليل النفسي وخاصة فيما يتعلق بتأثير الدافع الجنسي على الإنسان منذ لحظة الميلاد، ومن المعلوم أن النظرية الآن تدرس كنظرية تاريخية ولكنها في وقتها كانت تعامل كنظرية علمية لا شك في صدقها.

والحديث طويل جدا عن تلك النظريات التي لا دليل واضحا عليها، وعلى الرغم من ذلك تُعامل معاملة الحقائق كنظرية أصل العائلة وجميع ما قيل عن العصر الأمومي، وإن كان طه حسين كتب ذات يوم: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)[1] فأعمل منهجه في الشك في كتاب الله تعالى باسم العلم وفي المقابل كان المفترض أن نصدق كل هذه الترهات لأن أصحابها يستخدمون فقط مصطلحات علمية عليها دون أن يكون من حقنا استخدام منهج الشك وإلا اتهمنا بالرجعية والتخلف.

سقوط الجندر

ما أقوله عن نظرية الانتخاب الطبيعي أو مدرسة التحليل النفسي من نقد صدر بالأساس من الفكر الغربي ذاته عندما ثبت تهافت هذه النظرية وتلك، نستطيع أن نقوله عن الأركان التي قام عليها الفكر النسوي، وأهمها فكرة أنه لا فروق بين الجنسين، وأن جميع الفروق نشأت بسبب التربية الاجتماعية لا أكثر، فحين تختلف أساليب التربية وتوحّد لن يكون ثمة ذَكر أو ثمة انثى بل سيكون فقط النوع الاجتماعي أو الجندر.

تقول ميليسا هاينز: (لا يمكننا فصل العمليات

(*) كاتبة مصرية.

(١) طه حسين، الشعر الجاهلي.

البيولوجية والثقافية واعتبارها ساحات مستقلة بعضها عن البعض الآخر وإن كل الاكتشافات العلمية والدراسات الاجتماعية تسير في الاتجاه التبادلي التفاعلي بين منظومة متكاملة من المؤثرات والعوامل المختلفة أي أن جميع سماتنا السيكولوجية والسلوكية أساس بيولوجي في دماغنا بغضّ النظر إذا كانت الهرمونات أو عوامل أخرى بما فيها العوامل الاجتماعية والثقافية والتربوية هي التي تدفعنا إلى النمو بطريقة معينة لذا فإن التمييز بين الأسباب البيولوجية والاجتماعية هو تمييز زائف)[1].

هذا الترابط التي تتحدث عنه الباحثة بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي هو الأمر الأكثر منطقية وتوافقا مع الفطرة فليس من الطبيعي في شيء أن يكون الإنسان عبارة عن جُزر منعزلة لا تتفاعل مع بعضها البعض، لعل الأمر أقرب في الشبه بالأرض الزراعية وما يخرج منها من حرث، فعوامل الوراثة والهرمونات هي نوعية التربة التي لا يمكن إلا أن تنبت أنواعا معينة وفقا لطبيعتها وطبيعة المناخ، وفي الوقت ذاته تختلف نوعية الزرع وجودته وقيمته بقدر ما يَبذل فيها المزارع من جهد وما يقدمه لها من مخصبات وهذا هو الدور التربوي والاجتماعي ولابد من التوافق بين الأمرين.

فلو افترضنا أن مزارعا ماهرا معه جميع المخصبات وأراد أن يقوم بزراعة نبات حار في بيئة باردة أو نبات بحاجة لتربة طينية في تربة رملية فلن تكون النتيجة إلا الفشل مهما بذل من جهد، والمزارع الماهر حقا هو من يبذل الجهد المناسب في المكان المناسب.

أما النسويات فهن يُردن فرض ما في رؤوسهن على قوانين الطبيعة ذاتها ولكن العلم يثبت يوما بعد يوم زيف تلك الأفكار الضالة (إن ظاهرة اختلاف دماغ الرجل والمرأة أثارت اهتمام العلماء فقاموا بدراسة الحالات المختلفة للدماغ عندما يفكر وعندما يغضب وعندما يحزن وغير ذلك من الانفعالات النفسية ووجدوا أن الدماغ لدى الرجل يعمل بطريقة مختلفة عن دماغ المرأة. ولكن الأمر لم يتوقف عند ذلك، فقالوا لابد أن هناك تشابهاً في عمل خلايا الدماغ بين الرجل والمرأة أثناء الراحة، أي عندما لا يقوم الإنسان بأي تفكير.

ولكن باحثين من جامعة كاليفورنيا وجدوا أن دماغ المرأة يتصرف بشكل مختلف عن دماغ الرجل حتى في حالة الراحة أو السكون!! أي عندما يكون الرجل جالساً لا يعمل أي شيء، ولا يفكر بشيء، وكذلك عندما تكون المرأة جالسة لا تفكر بشيء فإن التصوير بالرنين المغناطيسي أظهر أن النشاط في مناطق الدماغ للرجل يختلف عن دماغ المرأة بشكل واضح.

فقد كشف الدكتور Larry Cahill أن دماغ الرجل يعالج المعلومات بطريقة مختلفة جداً عن دماغ المرأة، حتى في حالة الراحة، واستخدم الباحث إشعاع Positron Emission Tomography أو اختصاراً PET في تجربة تشمل ٣٦ رجلاً و ٣٦ امرأة، وذلك لدراسة نشاط الدماغ أثناء الراحة دون التفكير بشيء، وأظهرت الصور أن المناطق التي تنشط في دماغ المرأة تختلف عن المناطق التي تنشط في دماغ الرجل!

ويقول الباحثون إن هذه النتائج غريبة وغير متوقعة، فطالما اعتقدوا أنه لا فرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة، ولكن هذا البحث أكد لهم أن الدماغ يعمل بشكل مختلف جداً عند الرجل والمرأة، ويقولون:

إن تصميم دماغ المرأة جاء مناسباً لتحمل الألم والإجهادات (مثل آلام الولادة) أكثر من الرجل حيث إن دماغ الرجل لا يوجد فيه مثل هذه الميزة!!

ويقول الباحث Cahill: العجيب أن تصميم دماغ الرجل ودماغ المرأة جاء كل منهما متناغماً مع العمل الذي سيقوم به)[2] وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران].

(١) ميليسا هاينز، جونسة الدماغ، ترجمة د. ليلى الموسوي.

(٢) عبد الدائم الكحيل، وليس الذكر كالأنثى رؤية جديدة.

الأبحاث العلمية كثيرة جدا ولستُ هنا في مجال الاستقصاء وهناك أدلة أن الدماغ مختلف منذ المرحلة الجنينية بفعل الهرمونات الجنسية المختلفة وليس في هذا أي انتقاص للأنوثة، بل لعلي لا أكون مبالغة في القول أن ثمة مشاعر نقص حقيقية تعتري هؤلاء النسويات اللاتي يرفضن تصديق هذه الفروق الحاسمة في الدماغ الذي يحتوي على أكثر من مائة تريليون خلية وربما أكثر ويسيطر على جميع وظائف وسلوك وإدراك الإنسان.

شهادة المرأة

هل يمكننا في ضوء ما سبق أن ندرك الحكمة من جعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وأن القضية لا تتعلق بمكانة المرأة فالهدف من الشهادة ليس مكانة الشهود وإنما توثيق الشهادة.

شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين في حالة الإشهاد على الدين أما الشهادة في القضايا المدنية أو الجنائية فلها شأن آخر فقد يكتفي القاضي بشاهد أو يتحتم وجود أربعة شهود وقد يحكم بالقرينة وهناك قضايا لا تُقبل فيها شهادة الرجال وأخرى لا تقبل فيها إلا شهادة الرجال وليس هنا مجال التفصيل ولا علاقة لها بمكانة الشهود فالبعض انحرف بالوسيلة وجعلها هي القضية والغاية.

تمر المرأة بتغيرات هرمونية أثناء الحيض وأخرى أثناء الحمل وأخرى في حال الرضاعة، وقد ثبت علميا وبما لا يدع مجال للشك أن الهرمونات تؤثر في عمل الدماغ، وليراجع من يشاء كتاب (جنوسة الدماغ) وهو مؤلف علمي غربي رصين مليء بالتجارب والمعلومات الحديثة التي تؤكد ذلك، وهناك دراسات أخرى تتحدث عن العلاقة بين قدرة دماغ المرأة على تحمل الألم وتأثير ذلك على الذاكرة طويلة الأمد كما في حالة الإشهاد على دين مثلا.

يضاف لذلك عامل بالغ الأهمية، فنحن إذا اتفقنا أن هناك علاقة تبادلية تفاعلية بين ما هو بيولوجي وماهو اجتماعي فإن الفطرة تقول إننا ينبغي أن نخضع التربية الاجتماعية للتوافق مع البيولوجي لا التصادم معه، بمعنى أنه إذا ثبت أن دماغ المرأة وهرموناتها تؤهلها كي تكون أما حنونا وزوجة رقيقة فلابد أن تربى وتنشأ لتكون هكذا ولا تشعر بتناقض بين ما تحسه وتشعر به وما يفرض عليها من الناحية التربوية والفكرية التي تهمش مثل هذه الأدوار وتحتقرها.

وبالتالي فعندما يكون الأصل أن تكون المرأة متفرغة لبيتها وأولادها فسيكون اهتمامها بالمعاملات المالية والديون والشهادة عليها أقل بكثير من الرجل وعندما لا يكون الموضوع في بؤرة الاهتمام فاحتمال نسيانه أمر وارد.. ومن ثم فالاحتياط في الشهادة أمر واجب.

ولكن الشبهة ذائعة الصيت هي أن هناك من النساء من يمتلك عقلا رياضيا وذاكرة حديدية تفوق الكثير والكثير من الرجال وهناك نساء شديدات الاهتمام بالمسائل المالية والمعاملات الاقتصادية ونساء أعمال ناجحات بل باهرات، وأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها نموذج لذلك فقد كانت تستثمر مالها في التجارة ومن ثم لابد أنها كانت تمتلك عقلا رياضيا نابها وذاكرة فائقة وإلا لما حافظت على تجارتها بل وتوسعت فيها.. هذا كله حقيقي والإسلاميون لا يريدون نفيه أو التشكيك فيه لأن الإسلام كرم المرأة وعظم الحقائق وكان شعاره الدائم في مواجهة خصومه ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة].

النتائج التي توصلت إليها أبحاث العلماء عن طبيعة الهوية الجنسية للدماغ والفروق الفردية بين الجنسين كانت تتحدث عن المتوسط العام، وعلى سبيل المثال عندما يقال إن فارق الطول بين الجنسين هو لصالح الذكور فهل يعني ذلك أن كل رجل هو أطول من كل امرأة؟ بالطبع لا والجميع يعلم ذلك.

وعندما قرر الإسلام أن تكون شهادة امرأتين على الدين تعدل شهادة رجل واحد فذلك لأن الله الذي خلق البشر بحكمته وجعلهم جنسين لغاية جليلة، وجعل بينهما أمورا مشتركة وأخرى مختلفة ودعاهم للحياة وفقا لما فطرهم عليه، وشرع لهم من الشرائع ما فيه نفعهم في الدنيا كما الآخرة، ولأن المال عصب الحياة كما يقال وكان الديْن حاجة إنسانية لابد من الاعتراف بها وتلبيتها فكان لا بد من حفظ حق الدائن بالشهادة وحفظ حق المدين بأن

يملي هو بنفسه ما عليه من دين حتى لا يغالطه أحد بل حتى حافظ على حقوق الكاتب والشهود لأنه دين يقوم على العدل.

ولا يمكن لدين يقوم على العدل أن يغمط حق أحد الجنسين أو يقلل من قيمته أما أتباع الديانات الأخرى التي حرفها البشر وأودعوا فيها عُقدهم وكمائن النقص التي تعتريهم فنحن أول من ننتقدهم كنقدنا لهؤلاء النسويات اللاتي بالغن في رد الفعل وقُمن بإضفاء صفة العلمية على ما يردنه من أفكار دون سند من الحقيقة وسِرن في ركاب ما بعد الحداثة بما تحمل من أفكار تفكيكية حتى يغيرن فطرة الله التي فطر عليها الناس ولكن هيهات فكل يوم ينكشف عوارهن وزيفهن.

شيعة مصر على "الفيس بوك"... نوافذ العبث والتزييف

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

مثلت مواقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» و«تويتر» قفزة هائلة في ثورة الاتصالات حيث تجاوزت الحدود التقليدية فمكنت أي شخص في أي مكان من أن يعبر عن نفسه وعما يحمل من أفكار دون حدود بعيدا عن طبيعة هذه الأفكار وهل هي إيجابية تساهم بقدر أو بآخر في تشكيل الوعي وزيادة المعرفة أو أنها سلبية ظلامية ترسخ من حيرة البشر وتدفعهم للتمادي في السير بطريق التيه.

ويكفي أن يكون ما شهدته العديد من البلدان العربية مما أطلق عليه بـ «ربيع الثورات العربية» دليلا يؤكد صحة ذلك إذ كان لهذه المواقع التواصلية الدور الرئيس والفاعل في نشر دعوات التظاهر والاحتجاج التي استجابت لها وتفاعلت معها الملايين من جماهير هذه البلدان في ظل عجز تام من قبل الأنظمة والسلطات في هذه الدول للإمساك بمروجيها أو حتى الحد من

(*) كاتب مصري.

انتشارها حتى تحقق للمحتجين ما خرجوا من أجله ودعوا إليه.

كما شكلت هذه المواقع فرصة سانحة للدعاة الإسلاميين ونشطائهم للوصول للناس والتواصل معهم بعد القيود التي فرضتها الحكومات عليهم فخرجوا للنور بعد حالة من التهميش والتغييب كان يقصد بها الإبقاء على صوت واحد فقط يعبر عن «إسلام خاص» يقصره على الجوانب التعبدية وربما القيمية بعيدا عن الدور الحقيقي والمنوط به هذا الدين في إصلاح وبناء المجتمعات الإسلامية.

لكن وفي المقابل كان لهذه المواقع سوءاتها التي لا تقل آثارها وتداعياتها السلبية في قدرها عن تلك المتحققة من جوانبها الإيجابية فكانت هذه المواقع بابا مفتوحا لدعاة الفحشاء والرذيلة وأصحاب الانحرافات والترهات ينصبون الفخاخ كل يوم بل وكل لحظة للإيقاع بفريسة جديدة في شباكهم بعد أن تستميله الإغراءات ويلح عليه الفضول ويجعل من وقت فراغة سلاحا لتدميره.

وتأتي خطورة مواقع التواصل الاجتماعي في هذا الشأن من كونها مواقع تفاعلية لحظية تمنح الطرفين أو الأطراف المتعددة إمكانية إقامة حوار حيوي وهو ربما ما يصعب تحققه في المواقع الإلكترونية التقليدية والتي كانت أسبق في الظهور بسنوات كثيرة فضلا عن أن كل شخص من المتحاورين عبرها يعبر عن نفسه بنفس القوة والإرادة والمساحة إذ لا يمكن للطرف الآخر أن يتدخل أو يمنعه أو يحدد مساحة تعبيره فالمجال مفتوح دون ملكية مقصورة على طرف دون طرف.

الشيعة ومواقع التواصل

ولعل ما يشغلنا في هذا الصدد هو الطريقة التي تعاطى بها المتشيعة المصريون مع مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة «الفيس بوك» إذ يلحظ أي باحث على الموقع التواصلي مقدار اهتمام هذه الفئة القليلة للغاية بهذه المواقع وإنشاء عددا من الصفحات المختلفة والتي تحمل أسماء متعددة

لتجمعاتهم وتكتلاتهم.

وربما كان هذا التعدد والاختلاف ليس إلا لتوسيع دائرة المستهدفين كل حسب اهتماماته وميوله فالبعض يركز في النقاش والحوار حول الأمور الخلافية المذهبية في حين يتطلع البعض الآخر للتعرف على المواقف السياسية للشيعة المصريين والتي لا تنفك عن أن تكون تابعة ونابعة من الموقف العام للشيعة في عموم المعمورة والمستمد أصلا من الدولة الإيرانية.

كما توافقت طبيعة مواقع التواصل الاجتماعي مع المبادئ الأساسية للتشيع والشيعة حيث التقية التي تلزمهم بعدم تعريض أنفسهم لما يمكن أن يمثل خطرا على حياتهم واستمرار دعوتهم فيتوارون خلف الستار أو ينكرون الكثير مما يضمرونه، لكن إنشاء صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي لا تحتم بالضرورة الكشف عن هوية صاحبها أو مكانه أو أيا من المعلومات التي يمكن عبرها الاستدلال على شخصه الأمر الذي يمكن أن يعرضه لمخاطر ومشكلات جسيمة على المستويين الأمني والاجتماعي خاصة وأنه يتواجد على أرض وطن وبين شعب أغلبيته ممن ينتمون لأهل السنة الرافضين للتشيع ودعواهم.

كما تعد هذه المواقع منفذا مثاليا للكثير من الشخصيات والتجمعات الشيعية من خارج حدود الوطن المصري لترويج أفكارهم ودعواهم دون الكشف عن كون أن هؤلاء ليسوا من المصريين الأمر الذي يصور ويوهم البعض بأن الحراك الشيعي داخل الحدود المصرية كبير وأن التشيع يلقى ترحيبا بين المصريين وأن مذهب التشيع في ازدياد وانتشار.

ومواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيس بوك تمتاز عن المواقع الإلكترونية العادية أيضا في عدم حاجة أصحابها للكشف عن هويتهم من خلال حجز الدومين ومتابعة الشركات التي تتبنى «السايت» على السيرفرات الخاصة.

ويضاف إلى ذلك أن مواقع التواصل الاجتماعي نافذة مجانية لا تكلف صاحبها على المستوى المادي أي شئ ومن ثم فإن نشر «البوستات» أو المقالات أو الدراسات أو حتى الكتب والصور والأفلام أمر يسير لا يتطلب إلا شخص أو عدة أشخاص يقومون بهذا العمل في أوقات زمنية قصيرة لا تحتاج للتفرغ.

نماذج من صفحاتهم

مجرد البحث عن صفحات خاصة بالشيعة المصريين على موقع «الفيس بوك» تظهر العديد من الصفحات التي من بينها مثلا:

- تجمع الشيعة «أئمتنا توحدنا»
- الشيعة المصريين
- اتحاد الشيعة المصريين «أئمتنا توحدنا»
- شيعة مصر قامون
- تجمع شيعة مصر
- شيعة مصر الفاطميون
- شيعة مصر – عدونا إسرائيل
- شيعة مصر
- الشيعة المصريون – المجموعة العلمية

والمتأمل للحظات في أسماء هذه الصفحات يلحظ ثمة محاولات للعب من قبل مؤسسيها على مختلف الأوتار بحيث يمكن النفاذ إلى الجميع دون استثناء فصفحة تحمل شعار «التوحد» الذي يكون عبر أئمة الشيعة مغازلة لدعاة الوحدة والتقريب والحالمين به، وصفحة أخرى تعتبر «إسرائيل» هي العدو الذي يجب مواجهته للترويج بأن الشيعة وفي مقدمتهم إيران يمثلون حلف المقاومة والممانعة ضد الكيان الصهيوني الذي هو الخطر الأكبر على الأمة، وأخرى تطلق على نفسها المجموعة العلمية، ورابعة تحمل اسم الشيعة الفاطميون، وخامسة لا تتردد في أن يكون عنوانها - «الشيعة قادمون» - كشكل من أشكال التحدي الذي يدفع القارئ للمتابعة واستكناه المضمون.

كما يلاحظ أن أعداد المعجبين بالصفحات ووفق ما سجلت كل صفحة في أعلاها هي أعداد قليلة فأكثرها وهي «Egyptian Shia» «شيعة مصر» لا يتجاوز العدد الـ ٤٥ ألف معجب في حين أن بعضها لا يتجاوز الألف معجب في حين أن الأسماء والكنيات تكشف عن أن أغلبية هؤلاء المعجبين ليسوا من أبناء الشعب المصري وهو ما يشير إلى

كـون أن المتفاعلين مـع هـذه الـصفحات ينتمـون لبلدان أخرى بها أعداد كبيرة من الشيعة ومن ثم فإن الصفحة فقط تحمل اسم مصر دونما أن تكون معبرة عن المصريين بشكل مطلق.

تحليل لبعض المحتويات

وسنركز في هذا التحليل على الصفحة الأهم والأقدم للشيعة المصريين والتي تسمي نفسها «Egyptian Shia»[1]، وقالت في تعريفها «أول وأقدم صفحة لشيعة مصر على شبكة الفيسبوك. الصفحة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تدعي اختزال الرأي الشيعي في مصر».

وتنوعت اهتمامات الصفحة بين ما هو ديني وعقائدي قصد منه إثارة الكثير من التساؤلات والشبهات لدى القارئ بهدف إحداث ثغرات للاختراق ومنها ما ارتبط بالجانب السياسي الذي قصد به معارضة المواقف التي اتخذها نشطاء أهل السنة من التيارات والقوى والأحزاب الإسلامية في مصر ومنها ما استخدم السخرية والفكاهة للاستخفاف أو التقليل من شأن ما يعتبره ويقدره البعض من أهل السنة استنادا لكون مصدره أحد كتب السنة التي لا يلتفت إليها الشيعة.

ويجدر بنا أن نمر سريعا على بعض «البوستات» التي تحمل بعضا من المضامين التي أشرنا إليها آنفا مشيرين إلى أننا سننقلها كما كتبها وعلق عليها أصحابها مصحوبة ببعض تعليقاتنا الخاصة ومنها:

أولا: المضامين الدينية والمذهبية ومن موضوعاتها:

١- اتهام الصحابي معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه بالخيانة حيث كتب أحدهم يقول: «على فكرة: والد النبي محمد عبد الله وامه السيدة امنة بنت وهب تم اغتيالهم.. كما تم اغتيال مطلب وهاشم.. دي بقة ازاي؟ دي نتكلم عنها بعد ايام بحلقات مفصلة ازاي تم الاغتيال.. ايه محاولة الاغتيال الي تعرض لها النبي وهو طفل وتصاب في كامل بطنه كادت تؤدي إلى موته وازاي تصرف أبو طالب عشان يحميه من محاولات الاغتيال المتكررة.. ومين من الصحابة كان على علاقة مباشرة بالدولة البيزنطية والتي نفذت اكثر من محاولة اغتيال للنبي وازاي تم تسليم بلاد الشام لـ ال امية تسليم يد باتفاق مع الروم وليه؟ والنقطة الاهم: هل شارك حرس قيصر وكتائب بيزنطية بصورة مباشرة في حرب صفين ضد جيش الامام علي ولصالح معاوية؟ كلها حنتكلم عنها بعد ايام فانتظرونا»..

وبالطبع وكما هو واضح فإن الهدف من هذا الكلام هو الطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان بغرض كسب التعاطف الكامل مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كخطوة أولى لتحقيق التشيع.

٢- انتزاع عروبة بني أمية فيقول أحدهم تحت عنوان «بني أمية حاجة كدة ع الماشي»: «هل تعلم ان آل امية اصلهم من الروم وليس من العرب؟ يقول ابو القاسم الكوفي في الاستغاثة ج١ ص٧٦ وكان عبد شمس بن عبد مناف أخا هاشم بن عبد مناف قد تبنى عبداً له رومياً يقال له أمية فنسبه عبد شمس إلى نفسه، فنسب أمية بن عبد شمس، ودرج نسبه كذلك إلى هذه الغاية فاصل بني أمية من الروم ونسبهم في قريش». وجاء في جواهر التاريخ ج٢ ص٨٢: يروى أن أمية كان عقيماً وأن اولاده من عبده الرومي ذكوان. وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة في كتاب بعثه إلى معاوية فقال عليه السلام: (ولا الصريح كاللصيق)».

وبعيدا عن النقاش حول ما ذكر ومدى كونه حقيقة أم إدعاء فإن هذا الحديث هو خطوة أخرى للسير في طريق التشيع حيث التشكيك في المعسكر المخالف للإمام علي كرم الله وجهه حتى لو كان ذلك على حساب إثارة الشعوبية التي تعد إثارتها الخطر الأكبر على الشيعة والتشيع حيث أن أغلبيتهم ممن ينتمون للجنس الفارسي وليس

(١) https://www.facebook.com/EgyptiannShia?fref=ts
وقد أنشأت لنفسها صفحة أخرى قالت إنها احتياطية
https://www.facebook.com/EGyptianShia?fref=ts

العربي.

ثانيـا : المـضامين الـسياسية الداخليـة ومـن موضوعاتها :

١- الترويـج للمرشـح الناصـري حمـدين صـباحي الـذي كـان ومـازال في خنـدق المنافـسة مـع التيـار الإسـلامي بمختلـف توجهاتـه فيقـول أحـدهم: «اختلفـت او اتفقـت مـع صـباحي فهـو يـتكلم عنـك ويعـبر عنـك بكـل وضـووووح و دقـه» ثـم يستـشهد صـاحب «البوسـت» بمقطـع فيـديو لـصباحي، تحـدث فيـه بلهجة في غاية التحامل على الإسلاميين.

https://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=Adte6WZ5ga0

وكـان مـن بـين التعليقـات علـى هـذا «البوسـت» مـا كتبـه «Shihab AbuTabekh» حيـث قـال: «اتمنـى ان أراك رئـيس مـصر المقبـل يـا حمـدين صـباحي»، فيمـا علـق «Mohammed Jawad»: «منـذ اليـوم اعلنـت اعجـابي بحمـدين صـباحي... ليتـه يـأتي إلى العـراق كـي نرشـحه رئيـسا للـوزراء خـير مـن هـذا الحـاكم الان والـذي تركـه لنـا قطـب والبنـا وحـزب التحرير العفن».

ويـتسق هـذا الكـلام إلى حـد كـبير مـع الموقـف الـذي اتخذتـه الدولـة الإيرانيـة خـلال الانتخابـات الرئاسـية المـصرية الـتي جـرت في يونيـو مـن عـام ٢٠١٢حيـث أشـارت العديـد مـن التقـارير الإعلاميـة إلى أن صـباحي حظـي بالـدعم والتأييـد الكـاملين مـن إيران.

٢- انتقـاد الإخـوان المـسلمين ومناهـضتهم ومـن هـذا مـا كتبـه بعـضهم تعليقـا علـى نبـأ حكـم محكمـة عابـدين والـذي قـضى بحظـر جمعيـة الإخـوان المـسلمين والجماعـة المنبثقـة عنهـا حيـث قـال «Sara Mohamad Ali»: «بكـرا بيطلـع بـدالهن حـزب النـور وبـصير اسمـو جماعـة الاخـوان النـاكحون ههههههههههـه». وقـال «Ahmad Alemam»: «هههـه...الاخوانجيـه انتهـوا سياسـياً ودينيـاً...(الـسلفيه والاخوانجيـة والوهابيـه هـم العـدو فأحـذرهم)...وهـذا دم الـشهداء لم يـذهب هـدر.. والعاقبـة للمـتقين»، وهـي تعليقـات فيهـا تـشفي مـن الإخـوان المـسلمين علـى الـرغم مـمـا تعرضـت لـه الجماعـة وعلـى رأسـها الـرئيس الـدكتور محمـد مرسـي مـن انتقـادات شـديدة مـن الأغلبية المسلمة تجاه التقارب الذي قادته مع إيران.

٣ - اسـتغلال بعـض البوسـتات الخاصـة بعـدد مـن الـشباب الـذين ينظـر إلـيهم علـى اعتبـار أنهـم قيـادات ثوريـة، ومـن ذلـك مـثلا نـشر بوسـت للمـدعو محمـود بـدر مؤسـس حركـة تمـرد والـتي يقـول فيهـا: «كفـاكم يـا بـني الزهـراء فخـرا.. إذا مـا قيـل جـدكم الرسـول.. أبـوكم فـارس الهيجـا علـي.. وأمكـم المطهـرة البتـول»، ومنهـا أيـضا مـا كتبتـه نـوارة نجـم الـتي بـرزت خـلال أيـام ثـورة الخـامس والعـشرين مـن ينـاير ٢٠١١ وتقـول في «البوسـت» الخـاص بهـا: «إن كـان رفـضا حـب آل محمـد فليـشهد الـثقلان أنـي رافضي

إن كـان ماسـونا حـب الثـورة فليـشهد الـثقلان أنـي الماسون الأعظم

إن كـان سـحرا التـصدي للاخـوان فليـشهد الثقلان اني ساحرة».

ولا شـك أن المغـزى مـن وراء نـشر مثـل هـذه البوسـتات هـو تـصوير هـذه القيـادات الـشبابية الثوريـة وكأنهـا متـشيعة وهـو حتمـا مـا سـيكون لـه تـأثيره علـى قطـاع كـبير مـن الـشباب المتـأثر بمثـل هـؤلاء القيادات.

٤- ولا يمكـن أن يفـوت هـؤلاء اسـتغلال حادثـة مقتـل الـشيعي حـسن شـحاته وبعـضا مـن رفقائـه حيـث نقـل بعـضهم خـبر مقتلـه قـائلا: «حـصار اصحاب المنـزل الـذي استـشهد فيـه الـشيخ شـحاتة بعـد احتفـالهم بمولـد الامـام الرضـا. ورمـي المنـزل بالحجـارة قبـل ان تتـدخل قـوات الـشرطة وتبعـد الجنـاة عـن المنـزل».. ليعلـق بعـدها بـالقول: «الكـلاب دول لازم يتربوا والفض مش كفاية».

فيمـا كتـب آخـر يقـول: «دمـك كـان لعنـة ازالـت دولـة البنـا المجـد والعـز لـشهدائنا والذل والعار لاخوان الشر اللامسلمين».

ثالثا : المضامين الخارجية ومن موضوعاتها :

١- دعـم شـيعة العـراق إذ لا يـألو القـائمون علـى الـصفحة في اسـتغلالها لإحـداث حالـة مـن التـضامن مـع

الشيعة في العراق وغير العراق انطلاقا من مبدأ المظلومية التاريخية التي تعرض لها الشيعة فيقول أحدهم تعليقا على التفجيرات التي تقع في العراق منذ الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ وحتى الآن: « فرد الأمن العراقي: شاب لم يجد فرصة عمل امامه الا بالانتساب للقوات الامنية حتى يحصل على قوت يومه ويحسب الشهر يوم يوم عشان ياخذ المرتب ويشتري حاجة لولاده ولة لخطيبته ولة يسدد الاقساط الي عليه.. خد كلاشنكوف.. خد عدة التسليح البدائية.. اوقف بوسط شارع ودرجة حرارة فوق الـ ٥٠.. ويلا يامعلم عاوزينك تحفظ الامن وتواجه الارهابيين الي متدربين على اعلى طراز ويحملوا اخس عقيدة ومعاهم احدث الاسلحة والمتفجرات !! طب يحفظ الامن ازاي وانتم جايبينه عشان يموت وبس مش عشان يحفظ الامن؟ ».

ويقول آخر: «كم يحتاج العراق لشراء ادوات لكشف المتفجرات حديثة؟ كم يحتاج العراق للاستعانة باكثر الفرق العالمية احترافا لمكافحة الارهاب بالسبل العلمية الحديثة؟ كم يحتاج العراق لتطوير عمل اجهزة المخابرات وتجفيف منابع الارهاب؟

كم يحتاج العراق لارسال القوات الامنية للدول المتقدمة وتأهيلها بصورة تليق بالحرب الدائرة الان بالعراق؟ الجواب: ربع انتاج النفط العراقي ليوم واحد فقط!!»

وبالطبع فإن الرسالة المستهدف إرسالها واضحة حيث الإيهام بأن ما يحدث في العراق ليس إلا معركة بين الإرهاب الذي يشنه أهل السنة على الأجهزة الأمنية العراقية.

٢- السخرية من الثورة السورية ومنها مثلا «بوست» كتبه أحدهم يقول فيه: «اطراف الثورة السورية عمالين يقتلوا بعض ! ليه بس ياخوانا دة انتم واكلين شاربين نايمين قاتلين مع بعض عين وصابتكم ياجماعة.. دة اكيد حد عاملهم عمل ولة حاسدهم».. ثم يعلق أحدهم ويدعى Jawad Mubarak Soud على البوست قائلا: «اللهم اجعل بأسهم بينهم وسلط عليهم من لا يرحمهم ولا يخاف فيهم عقابك.

رابعاً: الحط من شأن علماء وقيادات أهل السنة ومن موضوعاتها مثلا:

١- احتقار الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي يحظى بشعبية جارفة بين أهل السنة في مصر وذلك عبر توجيه حزمة من الاتهامات تصوره وكأنه صاحب فكر متشدد ومتطرف لا يعبر عن فكر الإسلام كما يرونه هم فيقول أحدهم في أحد «البوستات»: «نبذة عن بعض مواقف الشيخ «المعتدل» متولي الشعراوي !!

١- حلل قتل تارك الصلاة
٢- حلل قتل من يخرج من الإسلام لغير دين
٣- حرم الخروج على حسني مبارك
٤- سجد لله شكرا بعد نكسة ١٩٦٧ وهزيمة الجيش المصري باعتبار ان حليف مصر انذاك هو الاتحاد السوفيتي الكافر !!

ثم يعلق قائلا: «لو عايز تناقش الموضوع ناقش اصل الموضوع وماطرح».

ثم يقول: «كلمة للمعترضين بخصوص موضوع الشعراوي:

١- أول حاجة البوست موجه للداخل المصري واحنا اعرف بالمصلحة عشان دة يعتبر رمز الاعتدال ولما رمز الاعتدال افكاره منيلة بستين نيلة زي دي تبقى دي مصيبة وخطر على المجتمع

٢ - اي حد حيطلع زي الشعراوي ويحلل قتلي كشيعي زي ما الشعراوي حلل قتل تارك الصلاة الناس حتصدق وتقولك دة معتدل وكل كلامه صحيح عشان عندهم مثل سابق ودة الي بنحذر منه.

٣- لما انسان يحمل فكر تكفيري ارهابي بثوب الاعتدال وإنما تم الترويج له سياسيا بزمن السادات ومبارك تيجي وتقولي لا متتكلمش عنه عشان بيحب اهل البيت فسوري اي اهل البيت بيحبهم بالضبط يعني !!

٤- المصريين السنة انفسهم ابتدوا يوعوا لشيوخ الدين دول وابتدوا يناقشوا فيهم وابتدوا

يميـــزوا الـــصحيح مـــن الخطـــأ انـــت زعـــلان ليـــه حضرتك؟

٥- انـت ماشـي علـى مبـدأ التقـديس الاعمـى انـت حـر احنـا ماشـين علـى مبـدأ تعريـة كـل مـن يتعـرض لاي انـسان ولـو بكلمـة عـشان نحـافظ علـى كيانـا ومجتمعنا».

من تاريخ التسنن في العراق

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

مرَّ قرنان من الزمان على العراق والتشيع يسري فيه وفق مخطط مدروس، حيث أن الشيعي حيث وُجد فله قيادات تُخطط له، وقديما كانت تخطط له رجالات الحوزة، ومع مرور الزمن يتمدد التشيع ديمغرافيا أرضا وسكانا على أرض الرافدين، ولم نسمع نذر ذلك من أهل السُنة لا في الدولة العثمانية ولا بعد تشكيل الدولة العراقية (١٩٢١م) إلا من مجموعة قليلة من العلماء والدعاة في الأمة الإسلامية[١]، والغريب أن يكون هؤلاء قلّة في العراق (وهو مطبخ التشيع)، ولم نسمع عن عملية عكسية (تحول التشيّع إلى تسنن) إلا في سبعينيات القرن العشرين، فقد بدت كظاهرة واضحة والتي هي موضع مقالنا هذا.

فقد حدث - ولأول مرة- منذ أربعة قرون وبجهود فردية عكس عجلة التشيع المطردة في تحويل المجتمع العراقي من التسنن إلى التشيع، ودارت عقارب الساعة عكس ما كانت تمشي لتعود إلى الاتجاه الصحيح، مع طواف الطائفين حول الكعبة، ومع ذرات دورة الإلكترون حول النواة، وهذه هي الدورة الصحيحة للكون كله.

قلة الوعي سبب انتشار التشيع:

كم عانت الدول وتعاني من ضعف ثقافة رجل السياسة لعلم الاجتماع والتاريخ الديني، مما كان له انعكاسات سلبية كثيرة على الأصعدة الدينية والاجتماعية والسياسية، وبسبب جهله ورغبته في الحفاظ على الكرسي لنفسه أو لعائلته أصبح يفكر بشكل غير سليم، فيجر الكوارث على المجتمع وعلى البلاد!

انتشر التشيع في جنوب العراق تحت سمع الدولة العثمانية وبصرها، وبموافقة رجال الحكم والولاة في معظم الأحيان[٢]، حتى كاد يصل لدرجة انفصال الجنوب الشيعي في العراق فأخذ يدير شئونه بقدر كبير من الاستقلال عن الدولة، وبسبب خوف الدولة العثمانية من تأثر مواطنيها بظهور الدعوة السلفية بزعامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منطقة نجد، اتبعت الدولة العثمانية سياسة إنشاء حاجز بينها وبين نجد، عبر السماح بتشيع قبائل جنوب العراق حتى غدت منطقة جنوب العراق أكثرية شيعية لتكون مانعا فكريا ضد تأثير دعوة محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بسبب الاتصال العشائري بين جنوب العراق ومنطقة نجد[٣]، هذا لا يعني أن الأمر مخطط له وبوعي من قبل العثمانيين، بل كان نتيجة لرغبة الساسة بالتخلص من أمر دون النظر إلى عواقبه المستقبلية، كما يفعل الساسة العرب اليوم في مقاومة أطماع إيران.

ولكن في أواخر الدولة العثمانية أحسوا بالخطر الشيعي، فقد تلقى السلطان عبد الحميد تقارير في سنة ١٨٩٠م تحذر من كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق؛ لذلك أوفد لجنة عسكرية للتفتيش في هذا الأمر، مما تسبب في إقالة والي بغداد سنة ١٨٩١م بسبب تغلغل الإيرانيين داخل بغداد، إضافة إلى كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق[٤]، وطلب السلطان عبد الحميد يوما من مستشاريه حل ظاهرة انتشار التشيع في العراق فأشير عليه - وكان بعض مستشاريه شيعة- بخطة غبية؛ هي تبني دعوة التقارب بين السنة والشيعة، وبُررت بكونها خطوة مهمة لسياسة السلطان في مقاومة الأطماع الأوروبية.

ولم يقتصر قلة الوعي بالتشيع وأخطاره على رجال الدولة العثمانية، بل استمر قلة الوعي في زمن الدولة

(*) كاتب عراقي (٢/١).

(١) من أمثال محمود شكري الألوسي ومحمد سعيد النقشبندي وغيرهما.

(٢) إسحاق النقاش، شيعة العراق، ص ٤٥٤.

(٣) بشير موسى نافع، العراق سياقات الوحدة والانقسام.

(٤) لي مقال في مجلة الراصد، العدد ١٢٠، بعنوان «السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من الشيعة وإيران».

القومية والوطنية؛ فعبد الكريم قاسم أول رئيس للعراق الجمهوري[1]، أسكن أبناء العمارة والناصرية من الشيعة في بغداد في مدينة الثورة والشعلة، ليخلخل التوازن الديمغرافي لمدينة بغداد، وليت صدام حسين اتعظ بذلك فهو الآخر جلب آلاف العوائل من أبناء الجنوب (نواب ضباط والرتب الصغيرة) ومنحهم قطعا سكنية مجاناً في مناطق شاسعة من بغداد، فازداد الخلل الاجتماعي في بغداد أكثر وأكثر، وهو ما ظهرت ثمرته المرة بعد الاحتلال عبر ميليشيات الإجرام والتشيع والعمالة لإيران.

ولقلة وعي السياسي القومي ومعرفته بشؤون التاريخ؛ استضاف حزب البعث الخميني المنفي؛ لأنه معارض لشاه إيران محمد رضا بهلوي وأسكنه في العراق، وكان الخميني يخطط لثورته من داخل العراق، تلك الثورة التي اكتوى بنار حربها أهل العراق ٨ سنوات، فصدق من قال: يا لغباء القوميين!

وليت الغباء اقتصر على القوميين، بل امتد حتى للإسلاميين، فلا زال الإخوان المسلمون في كل الوطن العربي والعراق يلهثون وراء إيران كبديل إسلامي، بزعم أنها تسعى لتحرير القدس ودعم قضايا الأمة، رغم جرائم إيران والأحزاب الشيعية في العراق وأرض الشام من قتل وإبادة وتهجير، فلا يزال لليوم من هو مفتون بإيران[2]، فمتى نتعظ! واللهُ يعيب ذلك على الكفار والمنافقين بقوله: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٦]، فهل أضحى حالنا ما وصف الله سبحانه جلّ وعلا!!

واقع العراق الديني في بداية القرن العشرين:

العراق بلد ضعيف دينيا منذ أمد بعيد (أكثر من أربعة قرون) لأسباب عديدة[3]، وازداد الضعف منذ أواخر الدولة العثمانية؛ فالمدارس الدينية في العراق أصبحت قليلة وشحيحة بخلاف مصر والشام، وحركة التأليف به ضعيفة، إضافة إلى الانقسام المجتمعي بين السنة والشيعة، كل هذه الأمور جعلت الواقع الديني ضعيفا، وزاد الأمر سوءا مع نهايات الدولة العثمانية وظهور القوميين والشيوعيين والعلمانيين وغيرهم ممن كان همّه اللحاق بالنمط الغربي، وكان الدين عند هؤلاء يمثل حالة من التخلف والرجعية لما يرى من انتشار الدجل والشعوذة والخرافة والوثنية التي يأباها العقل السليم بين العامة ورجالات الطرق الصوفية.

وبمرور الزمن انحسر التمسك بالدين أكثر وأكثر وأصبح أتباعه قلة (على الطرفين السني والشيعي) بتأثير موجة الانحلال التي غذاها الاستعمار من جهة وانتشار الفكر الشيوعي الإلحادي، وظهرت حركات قومية مثل حزب البعث والقوميين والناصريين، والأحزاب اليسارية كالحزب الشيوعي، وانتشرت هذه الأحزاب وأثرت على شريحة الشباب، وأثرت شبهات الإلحاد في الفرد العراقي.

ثم ظهرت حركات إصلاحية إسلامية حاولت إرجاع الناس إلى دينهم، وظهرت على شكل جمعيات وأحزاب؛ كحركة الإخوان المسلمين في الأربعينيات وبعدها حزب التحرير في الخمسينيات، وظهر عند الشيعة حزب الدعوة نهاية الخمسينيات؛ وكان همّ الأحزاب والجمعيات والأفراد الديني مواجهة الخطر الأول وهو خطر الإلحاد وانتشار الشيوعية، وربما رأيت الدعاة السنة والشيعة يطالعون كتبا واحدة غايتها ردّ فكرة الإلحاد، في هذه المرحلة دينيا نسى السنة خطر التشيع، وتوجهت المكونات الدينية الشيعية والحوزة إلى إنقاذ الشيعة من خطر سيطرة الشيوعية على فكر شبابها لاسيما وأن قبول الفكر الشيوعي في المناطق الشيعية كان أكثر

---

(١) كان هو الحاكم الفعلي للعراق رغم أن رئيس الدولة الرسمي كان محمد نجيب الربيعي.

(٢) مؤخراً وفي مؤتمر (العالم في ظل الانقلاب عن إرادة الشعوب) الذي انعقد في تركيا، تكلم نائب المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن زكي بنى ارشيد، عن إدارة الخلاف بين المسلمين وختم كلمته ناصحا المسلمين بـ: «تجنب التعصب للرأي أو المذهب أو التنظيم وإدراك أن الاختلاف طبيعة بشرية لم تسلم منه أمة أو مجموعة من الناس، وتجنب فكرة إثارة الصراع الطائفي الذي يقوم على أساس أن إيران هي العدو الأول في المنطقة»، سبحان الله نحن نعاني من فرط غباء الساسة العرب مقابل التخطيط الديني، والآن نواجه غباء الإسلاميين!! وصدق رسول الله ﷺ حين وصف أهل الحق: (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم).

(٣) بعد سقوط بغداد على يد التتار (٦٥٦هـ) بدأ ضعف العراق بعد أن كان عاصمة المسلمين في العلم والدنيا، وانسحب العلم تدريجيا إلى بلاد الشام.

من غيرها، وهذا ليس في العراق وحسب بل وفي إيران أيضا (حزب تودة) ولبنان[1].

في هذه المرحلة كان هناك صراع عالمي مع الشيوعية على الصعيد الديني والسياسي، ومن هنا كانت مشاركة العراق إبان العهد الملكي في حلف بغداد، لمقاومة الشيوعية.

وشارك العديد من الرؤساء والدول في هذا الصراع؛ فشاه إيران سعى لإبعاد شيعة العالم لاسيما شيعة لبنان عن الشيوعية، فأرسل موسى الصدر إلى لبنان كي يوقف المد الشيوعي داخل الشيعة في جنوب لبنان ولذلك أسس حركة المحرومين ومن ثم حركة أمل، وفي العراق دفع المرجع الشيعي محسن الحكيم الطباطبائي[2] محمد باقر الصدر كي يؤسس حزب الدعوة، وساعد الحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) على الحصول على الترخيص بعد أن رفضت الحكومة العراقية أن تسمح له بالعمل.

وكان هناك تعاون بين التيارين الشيعي والسني، وبين التيار الديني بعامة والقومي في مواجهة الشيوعية.

في ذات الوقت كانت التيارات القومية (حزب البعث – الناصرية- التيار القومي) تواجه التيار الديني على أنه تيار متخلف لا يصلح لقيادة نهضة الأمة من جديد، ويرسمون للدين صورة العلمانيين، تجعل منه تراثا قديما للأمة لا علاقة له بالحاضر، وتحصره في مظاهر التعبد وليس كفكر وحياة، صحيح أنهم ضد الإلحاد لكنهم ضد أن يتجاوز الدين أكثر من حيز المسجد والأحوال الشخصية في القانون.

لذا كانت وظيفة الدعاة وأهل العلم ليست بالسهلة في مواجهة التيار الشيوعي والتيار العلماني القومي، وكان الدعاة يسعون لبيان حقيقة الدين الإسلامي الأصيل بعيداً عن الواقع المؤسف والمتمثل في (التصوف والتشيع)، واللذين يمثلان حالة دينية متخلفة من الخرافة والشعوذة والهرطقة، ويقدمان نموذجا للدين يقوم على الانزواء والانطواء عن الحياة، وضرب النفس وتعذيبها، والبكاء على الأموات ولبس السواد والعيش بالماضي دون الحاضر، والتعلق بالقبور، والدجل لأخذ أموال الناس بالباطل، عبر السحر والشعوذة.

وكان الإنتاج الفكري المصري من بحوث ودراسات يمثل زاداً لدعاة العراق جميعا، حتى الشيعة، في مواجهة الإلحاد الشيوعي، حتى اتهم محمد باقر الصدر[3] من قبل علماء النجف بأنه وهابي؛ لأن أدبيات المفكرين السنة أمثال سيد قطب وأبي الأعلى المودودي وكتابات حزب التحرير هي ما كان يطالعه مؤسسو حزب الدعوة؛ لذا كان الجو وقتها مهيأ لكثير من الشيعة للسماع للسُنة لحاجتهم لذلك لفقر الفكر الشيعي الخرافي من الفكر أصلاً.

بداية تسنن الشيعة:

معلوم لدى جميع الدارسين للشأن العراقي أنّ الدعوة السلفية أصبح لها تجمع ظاهر في العراق في ستينيات القرن الماضي، وقبل هذا التاريخ كانت سمة لأفراد ونخب محدودة، حيث حملها في أواسط الستينيات مجموعة من الشباب المثقف، حيث توزع هؤلاء الشباب بين مجموعة منظمة بشكل سري سُميت فيما بعد من قبل السلطات (جماعة الموحدين)، وجماعات غير منتظمة من أشهرها مجموعة عبد الحميد نادر والشيخ صبحي السامرائي رحمه الله، والتي تبنت الدعوة السلفية في العراق كدعوة إصلاحية تدور فكرتها وخلاصتها على:

(أنّ ثمة انحرافا كبيرا جرى في الأمة الإسلامية، تغيرت فيها كل المفاهيم وعلى رأسها العقيدة، وتعرض التوحيد في الأمة بفعل الخرافة والتصوف وخلال مسيرة قرون طويلة إلى انحراف، والعراق بشقيه الشيعي والسني انحرف بتوحيده بعيدا عن الإسلام، حتى عبد الأولياء وقُدست

---

(١) أشار لذلك محبّ الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة).

(٢) كان المرجع محسن الحكيم (رئيس الحوزة، الإيراني الأصل في النجف) دائم التصريح: «إن نظام الشاه هو المدافع الوحيد عن شيعة العالم، وهو حصنهم الحصين والوحيد».

(٣) لا يزال إلى يومنا هذا يتهم ياسر الحبيب محمد باقر الصدر بأنه مات وهابيا.

القبور وطاف الناس بها ونذر لأصحابها، واستغيث بغير الله علنا من غير حياء، وبمباركة علماء من الطرفين (السنة والشيعة)، وكان لا بد أن تعود الأمة إلى نصابها الأصيل بدعوة إلى المنبع الأساس القرآن والسنة) هذه هي خلاصة الدعوة السلفية.

هذه الدعوة التي مارسها هذا النفر القليل، ممن لم يحمل شهادات شرعية أو مشيخية بل كان كلهم تقريبا من حملة شهادات في الطب والهندسة والعلوم، وندر فيهم ذوو الاختصاصات الإنسانية، أصبح هؤلاء يجوبون الآفاق في العراق عامة، وبغداد خاصة ومحافظة الموصل، يدعون في الجامعات والمؤسسات العلمية كل العراقيين (سُنة وشيعة): أن ثمة انحرافا حدث في الأمة لا تقبله النصوص الشرعية ولا العقل، ولم يكن هذا مخططا له من قبل، ولم يتلق أي دعم من الداخل والخارج، وعند هؤلاء، لا فرق في انحراف صدر من سني أو شيعي، فكلهم قد انحرف عن كتاب الله ومضمون وحقيقة التوحيد الذي جاء به الإسلام.

ولم يكن يتوفر لهؤلاء الدعاة الكثير من المصادر والمراجع، وإنما بين أيديهم كتاب الله عز وجل، وبعض التفاسير من أمثال تفسير ابن كثير أو القرطبي، وبعض كتب ابن تيمية وابن القيم والصنعاني والشوكاني، وشروحات الحديث كفتح الباري وشرح النووي على مسلم، وبعض الكتب التي كان يندر وجودها مثل كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب وشرحه (فتح المجيد).

وكان زادُ الداعية العراقي هو كثرة اطلاعاته ودقتها بالنسبة لعامة الناس، وكان الاستشهاد بالقرآن هو الزاد الأساس للدعوة، ومن ثم الحديث الصحيح الثابت، وأصل الدعوة وجوهرها أن الذي عليه الدين اليوم إنما هو دين منحرف عن الطريق السوية التي جاء بها الإسلام.

بدأ الناس شيعةً وسنةً يَقبلون الدعوة للتوحيد، ولكن هذا القبول – والكلام في نهاية عصر الستينيات والسبعينيات- كان نخبوياً ومحدوداً، فلا تزال المساجد خالية خاوية إلا من نفر قليل من كبار السن وثلة من الشباب، فالذي يتحرك في المساجد هم أفراد تنظيم الإخوان المنحل وقلة من السلفيين، ولابد من الإشارة إلى أن دعوة الشيعة كانت تتم في مدينة بغداد وفي محافظتي ديالى والبصرة، وإخوان مدينة بغداد في الغالب عقيدتهم سلفية، خلافا لإخوان الأنبار أو الموصل.

هذه كانت المرحلة الأولى (نهاية الستينيات مع السبعينيات) والتي تنتهي بنهاية جماعة الموحدين وذلك سنة ١٩٧٩م، عندما اكتشف تنظيمهم وأودعوا في السجون، وحكم عليهم بمدد تتراوح بين سنة وخمس سنين. ومما لايفوتنا ذكره أن حزب الدعوة نشط وتحرك في أواسط السبعينيات.

مرحلة الثمانينيات:

نشبت الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) وخفت ضغوط حزب البعث على التيار الديني السني، بسبب ظهور حركة مسلحة شيعية عبر أحزاب شيعية تابعة لإيران، والتي هي في حالة حرب مع العراق، وكان الخميني وقتها يهدد ويتوعد العراق، بينما قيادات الشيعة في العراق تبارك ثورته علنا وتبشر بوقاحةٍ بقدومها للعراق، وكان حزب الدعوة يخوض معركة طاحنة مع الحكومة وصلت لإعدام المفكر الشيعي محمد باقر الصدر منظر الحزب، وهروب آلاف الشيعة من حزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي وغيرهما من الأحزاب الشيعية إلى خارج البلاد.

في هذه الظروف برزت نخب سلفية جديدة من الشباب الجامعي قادت العمل السلفي بشكل هادئ في المساجد، وقادت نشاطا بدأ من الصفر غير مستند على عمل سابق إلا القليل منهم، وتوجه نشاطهم إلى العمل في المدارس الإعدادية والجامعات والأقسام الداخلية لطلاب المحافظات، وحتى داخل

صفوف البعثيين أنفسهم؛ لأن الحزب كان يجبر من يريد أن يكون مدرسا أن ينتمي للحزب، ويدخل إلى كليات التربية المغلقة على المنتمين للحزب، وكان أبناء المحافظات (خارج بغداد) لا يبالون بالانتماء للحزب حتى ولو كانوا ملتزمين دينياً بخلاف أهل بغداد.

وكان في العراق تواجد كبير للجالية المصرية، ومن ضمنهم بعض السلفيين الذين ساعدوا بجلب بعض الكتب السلفية من الخارج للعراقيين والتعريف بأحوال الدعوة السلفية المصرية.

خلال الأربع سنوات الأولى من الثمانينيات تولد نشاط سلفي عفوي متميز انتشر في بغداد وضواحيها، وكان يدعو السنة والشيعة للالتزام دون أن يتدخل في الخصوصية الشيعية كصلاة الجماعة مع السنة في مساجدهم أو التكتف (وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة)، أو الصلاة في الحسينيات من عدمها.

كانت دعوة لتصحيح العقائد ينتقد فيها ما يفعل عند الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله وما يفعل عند قبر الحسين رضي الله عنه، كان للاحتجاج بالقرآن سحره الذي يجذب الجميع، لنصاعة ووضوح الأدلة، دعوة متوازنة مع الفطرة والعقل يقودها لفيف من المثقفين، دعوة تنادي بالناس: علينا جميعا أن نرتبط بالله دون وساطة من نبي ولا ولي، وأخذت الدعوة تنتشر حتى بين ضباط الجيش، نخص بالذكر الطيارين في القوة الجوية بفعل وجود بعض الدعاة فيها، وتواجد كذلك بين قوات الجيش ضباط وأفراد في جبهات القتال في الحرب العراقية الإيرانية؛ لأن الحرب ساقت طبقة الشباب كلهم إلى الجيش كمجندين.

كان الذي يجذب الناس للدعوة الحقة توافقها مع الفطرة السليمة، هذا ما يحدث اليوم في الأحواز، فمن لم تغيره الأفكار الصوفية والشيعية لتبرير البدع والشركيات أو يخضع لتأثير جو طائفي يصده عن سماع الحجة، فإنه سيقبل الدعوة السليمة؛ ولذا عندما يُترك الفرد الشيعي ليختار فإنه سيختار الأقرب إلى عقله وفطرته.

وهكذا بدأ التحول التدريجي لمذهب أهل السنة دون توجيه أي نقد للمذهب الشيعي من الداخل، والتحول توسع ليشمل عوائل كاملة، وذلك بسبب عرض العقيدة الإسلامية بشكلها البسيط من كتاب الله، وصدق الله سبحانه حين يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)، فالقرآن هو السحر الذي أثر على كثير من الشيعة أفرادا ونساء ورجالا.

لم يساهم السلفيون وحدهم بهذا الجهد بل كان للإخوان المسلمين مساهمة في هذا المجال لكن بشكل أقل من الجهد السلفي، ويعترف الإخوان أنفسهم أن كتب العقيدة والتوحيد كان لها أثر باهر في التأثير على الشيعة، لبساطتها وسهولتها ولملامستها العقول بشكل يتجانس مع فطرة الإنسان.

حصل التغيير في بغداد وبالدرجة الأولى العاصمة، وجنوب بغداد وشمال الحلة، والبصرة، وديالى.

والحق الذي أريد قوله أن الدعوة السنية بشقيها الإخوان والسلفية لم تكن في البداية موجهة للشيعة لغرض هدايتهم، وإنما وجهت للشيعة كعراقيين مواطنين كان يستهدفهم الداعية في مناطقه أو في جامعته، ثم لابد من ذكر حالة مهمة وهي أن التغير لم يكن فرديا بل أصبح جماعياً، عائلات تتغير بأكملها نتيجة تأثر أحد أفرادها، وأصبح هناك تغير جذري للفرد الشيعي فأصبح يرتاد المساجد ويصلي الجمعة والجماعات.

الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية

عرض: أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

أصدر المفكر الإيراني السيد صباح الموسوي كتاباً جديداً بعنوان «الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية»، وقد صدر الكتاب عن منتدى المفكرين المسلمين منتصف عام ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، وهو في ١١٧ صفحة.

والقضية التي يعالجها الكتاب قضية مهمة وهي تكشف عن جانب من أسباب عداء القيادة الإيرانية والحوزات الشيعية للعرب والمسلمين، هذا العداء الذي ينكره بعض الناس وبعضهم إذا اعترف به لم يهتدِ للجواب الصحيح في معرفة أسبابه ولذلك يتخبط في معرفة السياسة الصحيحة للتعامل مع هذا العداء الإيراني والشيعي للعرب والمسلمين!!

كتاب الموسوي موجه للقارئ العادي ولذلك جاء بلغة بسيطة ومباشرة، ولم يحفل بالتدقيق الأكاديمي في ضبط التعاريف وتحديدها بشكل صارم، وقد بدأ كتابه بتوضيح مفهوم الشعوبية وأنها (حركة ذات مشروع قومي، يرتكز على نظرية تفضيل العرق والثقافة الفارسية على الجنس والثقافة العربية، وتفوق الديانة المجوسية على الدين الإسلامي)، وينبّه الموسوي هنا على وجه التشابه بين الشعوبية الفارسية والعقيدة اليهودية في زعم أفضليتها على الآخرين!

ومعلوم أن جنس العرب أفضل من غيرهم ولكون النبي ﷺ منهم، وأي إنسان يفضّل على النبي ﷺ غيرَه لأي اعتبار كان فهذا يكون قد نقض إسلامه ودينه، ومن هنا تأتي خطورة هذه الدعوة الشعوبية الماكرة.

وحول نشأة الشعوبية تتراوح الآراء بين نشأتها في زمن الفتح الإسلامي لبلاد فارس في عهد الفاروق رضي الله عنه، والذي قتل على يد غلام مجوسي هو أبو لؤلؤة لعنه الله، وبين من يقول إن الشعوبية ظهرت زمن الدولة الأموية في حين قال بعضهم: زمن الدولة العباسية، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأنها بدأت منذ خلافة عمر لكنها قويت زمن الأمويين وبلغت الذروة زمن العباسيين، وقد اتخذت الشعوبية مظهرين، فبعضهم كان عداؤه للإسلام لصالح المجوسية وبعضهم كان عداؤه للقومية العربية لصالح الفارسية، ولاحقاً أصبحوا شيئاً واحداً.

والاهتمام بالجنس والقومية والشعب يعد نكوصا في الإسلام الذي جاء ليَسموا على ذلك بفكرة الأمة

(*) كاتب أردني.

والأفضلية بالتقوى.

والشعوبية تتمثل في نشاط متعدد من جهات وأفراد تسعى لحرب العرب والإسلام والحط من شأنهم وإعلاء سواهم وغالباً هم من الفرس، وقد يكون بينهم تعاون وقد لا يكون، وغالباً ما اتخذت من الدين ستاراً لبث أفكارها المسمومة للوصول للسلطة السياسية وهو الغاية الكبرى والحقيقية لها، ولذلك فإنها عمدت لبث الغلو والزندقة بين المسلمين، وخاصة بين غير العرب، وسعت لبث القلاقل والاضطرابات بين المسلمين.

وكان الشعراء والفلاسفة من أعظم أدوات الشعوبيين في نشر مزاعمهم ضد العرب والإسلام، كما كان بعض الثوار والقادة العسكريين هم من أقام للشعوبية إمارات ودولا بالتعاون مع أعداء الإسلام كالتتار والمغول، ومن أمثلة ذلك تحالف نصير الدين الطوسي مع هولاكو ضد الخليفة العباسي، وخيانة أبي مسلم الخرساني واستقلاله بدويلة.

انتقل الموسوي بعد ذلك لتحليل دور الأسطورة في نشر الشعوبية مما يلفت النظر لمركزية دور الأدب والخيال والقصة في نشر الضلال ليومنا المعاصر، فالرواية والفيلم والأغنية أصبحت أمضى سلاح لنشر كل أشكال الضلال والزندقة، ولذلك جاء القرآن بأحسن القصص لحاجة الإنسان للقصة وقوة تأثيرها فيه.

وركز الموسوي على أسطورة زواج شهربانو (ابنة كسرى) من الإمام الحسين كنموذج لتأثير الأسطورة في نشر الشعوبية القومية بتفضيل جنس الفرس، حيث أن تفوق الجنس الفارسي لا ينتهي بمجيء الإسلام، بل يمتد ليكون شريكاً مع رأس الإسلام من خلال ذرية النبي ﷺ، من خلال الزواج بالحسين رضي الله عنه، ثم تأتي الشعوبية الدينية بحصر الأئمة عند الشيعة في سلالة شهربانو الفارسية هذه!! ومعلوم أيضاً أن الزواج بين العائلات الكبيرة أو الحاكمة له ظلال سياسية واضحة كالتحالف والشراكة، وهذا هو المغزى من هذه القصة: الشراكة الفارسية في زعامة الإسلام!!

وتأكيدا على أن هذه القصة أسطورة لا حقيقة لها، يفصل الموسوي في الرواة الأساسيين الذين نشروا هذه الأسطورة فإذا هم بين أشخاص نكرات مجاهيل أو ضعفاء لا ثقة فيهم حتى عند علماء الشيعة!

ولا تقف المصيبة عند هذا الحد بل إن هؤلاء المجاهيل يروون أسطورة الزواج على أشكال متناقضة في تاريخها وشخوصها، فمرة يقولون: أُسرت شهربانو في زمن عمر، ومرة يقولون في زمن عثمان، ومرة يقولون في زمن علي! ثم اختلفوا في من أنجبت للحسين! ثم اختلفوا في زمن وفاتها! والأعجب من هذا أن المصادر تنفي أصلا وجود بنت لكسرى بهذا الاسم!! ولذلك صرح كل العقلاء والمنصفين حتى من المستشرقين بكذب هذه الأسطورة.

وهنا ينتقل الموسوي لبيان استمرارية الشعوبية في واقع إيران والشيعة المعاصر من خلال رصد بعض مظاهر الشعوبية الدينية والقومية بينهم، فمؤخراً قام المكتب الإعلامي لحوزة قم بنشر كتاب الشاهنامة مترجما بعدة لغات مع نبذة عن حياة مؤلفها الفردوسي على أقراص كمبيوتر، ووزعت في الملحقيات الثقافية للسفارات الإيرانية في العالم.

وكتاب الفردوسي (الشاهنامة) كتاب شعوبي بامتياز، فقد مجّد الفرس بصورة غير طبيعية وذمّ العرب، ولم يقتصر هذا على الحوزات بل وجدنا قادة إيران يثنون على الفردوسي ويجعلون من قصائده في كتاب الشاهنامة السبب في حفظ اللغة الفارسية من الزوال كما صرح بذلك الرئيس خاتمي، أما سلفه أحمدي نجاد فاعتبر كتاب الشاهنامة تفسيراً للقرآن!!

وعلى نفس المنوال في تبني الشعوبية نجد المرشد خامنئي يصرح بأن إيران تستحق أن تكون على هرم الثقافة العالمية!! ويفسر هذا تصريح خاتمي: (نحن قبلنا الإسلام ورفضنا العربية)!

مما يكشف عن طبعة خاصة بالإسلام مندمجة بالفارسية وهو ما صرح به مستشار نجاد وصهره مشائي حين طالب بإسلام إيراني! وهذا كله يدلل على بقاء الشعوبية لليوم تحارب العرب والإسلام، بينما الكثيرون في غفلة عن ذلك.





الصوفنة!!

قالوا: أعلن المجلس الأعلى للطرق الصوفية عن ترحيبه بدعوة لجنة الخمسين لتعديل الدستور برئاسة عمرو موسى، لوفد رفيع من المجلس للاستماع إلى مقترحاتهم برئاسة د. عبد الهادي القصبي، رئيس المجلس وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، ولفيف من أعضاء المجلس والمشايخ.

وأكد الدكتور القصبي، أن وفد الطرق الصوفية سوف يطلب إضافة مادة في الدستور تنصّ على اعتبار المجلس الأعلى للطرق الصوفية هيئة روحية دينية مستقلة تهدف إلى المحافظة على القيم السلوكية والأخلاقية وترسيخها بين كافة الفئات، وعلى كافة المستويات وفقا للمرجعية العلمية للأزهر الشريف، وذلك حسبما تؤكد المادة ١١٨ لعام ٧٦ من القانون.

وأوضح «القصبي»، أن وفد الطرق الصوفية سوف يطالب لجنة الخمسين بتمكين تلك المؤسسات، وعلى رأسها المجلس الأعلى للطرق الصوفية من خلال دعم تلك المؤسسات ماليا، لنشر الفكر الصوفي في الوسطي المعتدل ضد التطرف الديني من خلال الندوات والبرامج والمؤتمرات مع إنشاء قناة إعلامية تعبر عن الصوفية من أجل خدمة المجتمع.

موقع الموجز ٢٠١٣/١٠/٣

ليش زعلان!

قالوا: معدل الزوار لقبر جعفر الطيار في مدينة الكرك بالأردن من طائفة البهرة من الهند كان يصل في السابق إلى ١٠٠ زائر شهريا إلا أنه توقف نهائيا في الوقت الحالي، مشيرا إلى أن الزوار الشيعة من إيران توقفوا نهائيا أيضا، في حين تراجع عدد الزوار الشيعة من العراق إلى ٤٠ زائرا شهريا بعد أن كان يصل إلى آلاف الزوار في السنوات السابقة، وخصوصا في المناسبات الدينية الخاصة بهم.

ولفت إلى أن أعداد الزوار لمقامات وأضرحة الصحابة بلغت خلال شهر آب (أغسطس) الماضي ٢٦٧٥ زائرا وزائرة من مختلف الجنسيات العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الزوار الأردنيين. يشار إلى أن زوار المقامات يأتون بالعادة من العراق والهند وبنغلادش وجنوب أفريقيا وباكستان وتركيا وأندونيسيا ولبنان ودول الخليج العربي.

م. أشرف البطوش،
المدير الفني والإداري لأضرحة الصحابة بالأردن،
الغد ٢٠١٣/٩/١٠

ويتساءلون لماذا تنجح إيران؟

قالوا: في أقل من أسبوعين، وبعد انطلاق الثورة السورية، أطلقت إيران ونظام بشار الأسد وحزب الله، محطة تلفزيونية تتبنى وجهة نظرهم، وتروّج لها، كما أُطلق موقع إخباري باللغة الإنجليزية على الإنترنت لا يزال الإعلام الغربي يحاول جاهدا معرفة من يموله!

يحدث كل ذلك ثم يخرج لنا مجلس التعاون الخليجي، وبعد ثلاثة أعوام من الزلزال العربي، وبعد كل ما تعرض، ويتعرض له الخليج من تهديدات، بمحطة إذاعية جديدة باسم «هنا الخليج العربي» لتعزيز الهوية والمواطنة الخليجية، فهل يمكن التصدي لكل الحملات المنظمة المستهدفة للخليج وأمنه فقط بمحطة إذاعية، خصوصا أن الأمين العام لمجلس التعاون يقول إن

«التصدي للحملات الإعلامية التي تعمل على تشويه الحقائق ومغالطة الواقع، هي مسؤولية لا يمكن مجابهتها إلا بمزيد من الجهد في إبراز الحق كما هو ليدحض الباطل»، فهل يتحقق ذلك من خلال محطة إذاعية فقط؟

طارق الحميد –
الشرق الأوسط
٢٠١٣/١٠/٣

هذا ما نريده

قالوا: لا توجد فوارق كبيرة بين رجال الدين ورجال السياسة؛ ففن الكلام مهنتهم. ببلاغتهم يمكنهم التبرير والتدوير. النظام الإيراني الآن يقول إنه لا ينوي أن يبني قوة نووية عسكرية، لأن المرشد الأعلى أفتى بتحريم استخدام السلاح النووي! لا بد أن تكون إيرانيا شيعيا ورعا لتصدق مثل هذه العهود، لكن ليس بإمكان حكومات المنطقة تصديقها. وهنا أستعير المثل الذي استعان به الزميل الأستاذ إياد أبو شقرا في مقاله أول من أمس «إن سوء الظن من أقوى الفطن»، ففتوى المرشد الأعلى تزيدنا تشككا، فالأمر لا يحتاج إلى فتوى، بل إلى فتح المعامل والمفاعلات للمفتشين الدوليين.

عبد الرحمن الراشد –
الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

هل هذا سبب تغريده خارج السرب؟

قالوا: تتردد في أوساط سياسية عربية وغربية معلومات حول انقلاب عسكري سيطيح بالقيادة الحالية لحركة «حماس» في غزة بدعم من إيران، ولحساب ثلاثي متشدد مؤلف من محمود الزهار وموسى أبو مرزوق وعماد العلمي.

وكشفت المصادر أن البحث في التغييرات القيادية في «حماس» بدأ عندما زار أبو مرزوق الذي يشغل منصب مساعد رئيس المكتب السياسي لـ«حماس» طهران في شهر مارس الماضي واجتماعه مع الرئيس الإيراني حينذاك محمود أحمدي نجاد، وقد أبدي الإيرانيون صراحة عدم رضاهم عن التوجه السياسي الراهن لحركة «حماس».

وقالت المصادر إنه في الوقت نفسه جرت اتصالات بين الحرس الثوري وكتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة «حماس»، حيث التقت وجهات النظر حول ضرورة التغيير القيادي في «حماس».

وبنتيجة ذلك، فإن المصادر تتوقع ألا يتأخر التغيير في قيادة «حماس» والذي سيأخذ شكل الانقلاب العسكري، عقب بدايات العام المقبل، لتتولى قيادة جديدة إدارة «حماس» برئاسة محمود الزهار عضو القيادة السياسية ووزير خارجية حكومة هنية، وعماد العلمي وهو قيادي نافذ في الحركة وكان يقيم في سورية إلى أن طرد منها بعد وقوف «حماس» إلى جانب معارضي بشار، فعاد إلى غزة.

رياض علم الدين،
مجلة الوطن العربي ٢٠١٣/١٠/٢

وماذا عن الكنائس؟

قالوا: قرر وزير الأوقاف في الحكومة المصرية المعينة تحديد مدة خطبة الجمعة بنحو ١٥ دقيقة ولا تزيد بأي حال عن ٢٠ دقيقة للخطبتين.

... وأنه يباشر بنفسه التفتيش على المساجد للانضباط الدعوي والالتزام بالسياسة الدعوية للوزارة بحيث أن تكون المساجد للدعوة والموعظة الحسنة كي تكون بعيدة عن أي تجاوزات أو صراعات سياسية أو حزبية، وأكد أنهم قطعوا شوطا كبيرا في إبعاد المساجد عن الصراعات السياسية بالتنسيق مع مؤسسة الأزهر.

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/١٠/٥

غير مستبعد!

قالوا: هناك تضليل إعلامي عن عملية الإنسحاب لحزب الشيطان من سوريا، فخروج بعض عناصره من الوحدات السورية أو من منطقة الزهراء ونبل بأعداد لا بأس بها، هو للتستر على وجهتهم الحقيقية بانضمام جزء كبير من مقاتلى حزب الشيطان إلى (داعش) في مختلف المناطق المحررة، مستفيدين من غطاء الوجه لدى أغلب عناصر (داعش)، مع اطلاق لحاهم !

نقلاً عن مرجعيات لبنانية
مؤيدة للثورة السورية



اتجاهات السياسة الأمريكية نحو الإخوان المسلمين وإيران

جوزيف براودي– مجلة المجلة ٢٠١٣/٩/٢٣

تدليل الأعداء وإهمال الحلفاء

لا يخفى على أحد في واشنطن أن ثقة العرب في السياسة الخارجية الأميركية وصلت على مدار العامين الماضيين إلى أدنى مستوياتها. في مصر اليوم يلقي الإخوان ومؤيدوهم باللوم على الولايات المتحدة بسبب اعتقادهم ضلوع واشنطن في التخطيط للإطاحة بالرئيس محمد مرسي ودعم الجيش المصري في حملته الحالية. وفي الوقت ذاته يعتقد القطاع الأكبر من الشعب المؤيد للجيش أن الرئيس الأميركي حليف وثيق لمرسي. أما بالنسبة لسوريا، يشك العديد من الثوار في أن الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل تفضلان بقاء نظام الأسد – ولكن تؤكد حملة الدعاية التي تشنها الحكومة السورية على أن الثوار صنيعة وكالة «سي آي إيه» والموساد.

إذا نحينا هذه التصورات المذكورة جانبا، ما هو الموقف الفعلي الذي تتخذه القيادة الأميركية بشأن هذه الصراعات العربية الداخلية وغيرها، وكيف ستتطور هذه السياسات في الأعوام المقبلة؟ ما هو المنطق الكامن – إن وجد – في تناول الشؤون العربية والذي يحرك المعسكرين السياسيين المتنافسين، من باراك أوباما إلى جون ماكين؟

يعكس التفكير في هذه الأسئلة، بناء على تقارير من واشنطن ولقاءات مع واضعي السياسات ومستشارين رئاسيين حاليين وسابقين، من جانب، مستوى غير مسبوق من تشوش السياسة الأميركية تجاه العالم العربي اليوم: فهي ناشئة عن مزيد من الصراع الداخلي المرير في الأوساط السياسية في واشنطن، وانقسام سياسي أوسع بين الحزبين الرئيسين، وتحول الأولويات لدى الناخبين الأميركيين في وقت تعاني فيه البلاد من أزمة اقتصادية وعدم وجود فهم تام للعالم العربي. إضافة إلى ذلك، إذا تطلعنا إلى انتخابات الكونغرس والانتخابات الرئاسية المقبلة، سيبدو أن الفجوة بين وجهتي نظر السياسة الخارجية تزداد اتساعا في الولايات المتحدة.

ولكن على مستوى أعمق، من الممكن تعقب معسكرين سياسيين مختلفين يدافعان باستمرار عن رأيين متعارضين في قضية مستقبل ما يسمى بـ«الإسلام السياسي». يجب على العرب من أنصار الإصلاح المنظم غير الثوري دراسة ممثلي المعسكرين وأفكارهما والتحديات التي تواجههما، من أجل وضع إستراتيجيات تدعم أجنداتهم في واشنطن.

السياسة الأميركية تجاه إيران

في البداية، أحد التناقضات المحيرة في السياسة الأميركية على مدار الأعوام الستة الماضية هي مواقف باراك أوباما المتضاربة تجاه إيران في ٢٠٠٩ ومصر في ٢٠١١. جدير بالذكر أن الإدارة

الأميركيــة حملــت غــصن الزيتـــون نحـــو عـــدوها القـديم، النظــام الإيرانـــي، بينمــا صـدت «الحركــة الخـضراء» الــتي خــرج فيهــا شــباب المتظــاهرين ضــد تزويــر الانتخابــات في بلادهــم. ولكــن بعــد عــامين لم يــستغرق أوبامــا كــثيرا مــن الوقت قبــل التخلــي عــن حليــف أميركــا القــديم، الــرئيس حــسني مبــارك، وأثنــى علــى المتظــاهرين الــذين أجبــروه في النهايــة علــى التنحي.

ينظـر مستـشاران بــارزان في البيــت الأبــيض تحــدثت إليهمــا إلى موقــف الــرئيس مــن إيــران مــن وجهــتي نظــر متقــابلتين تمامــا، ممــا يوضــح عمــق الخــلاف بــين مختلف الجماعات السياسية:

قــال لــي خــوان زاراتــي، نائــب مــساعد الــرئيس ونائــب مستــشار الأمــن القــومي لمكافحــة الإرهــاب في إدارة جــورج دبليــو بــوش، إن تــصريحات أوبامــا عــام ٢٠٠٩ بــشأن إيــران كانــت خطــأ مأســاويا: «كــان ظهــور الحركــة الخــضراء يمثــل حــدثا مهمــا في تــاريخ إيــران، ضــاعت فرصــة إســتراتيجية للولايــات المتحــدة بــأن تــساعد علــى تقويــة الحركــة – وتــشكيلها كوسـيلة للتــأثير في الحــراك الــداخلي وصــناعة قــرار النظام».

ولكـــن قـــال دينـــيس روس، الدبلوماســـي الأميركـــي الـــذي خـــدم في إدارة كـــل مـــن بيـــل كلينتــون وجــورج دبليــو بــوش وبــاراك أوبامــا، إن رد الإدارة كــان مدروســا بــصورة جيــدة: «كنــا نتلقــى رســائل مختلطــة مــن الحركــة الخــضراء. وكنــا قلقــين مـــن أن الأشـــخاص الـــذين نرغـــب في الـــدفاع عـــن حقــوقهم والوقــوف إلى جــانبهم أيــضا لا يريــدوننا أن نقــول مــا قــد يمــس مــصداقيتهم. وكــان هنــاك الــبعض في الخــارج الــذين يريــدون منــا أن نكــون أكثــر صــراحة، أدى هــذا كلــه إلى تــبني موقــف أكثــر حذرا».

مــن المؤكــد أن روس يــصدق المخــاوف الــتي لا يــشترك معــه فيهــا زاراتــي – ممــا يــسمى بــ«قبلــة المــوت» الأميركيــة. والمقــصود بهــا أنــه نظــرا لانعــدام شــعبية أميركــا بــشدة في العــالم العربــي، ربمــا يكــون التعبــير الأميركــي عــن دعــم أي شــخص أو فــصيل ســببا في الإضرار به بصورة أكبر من نفعه.

الموقف من مبارك ونظامه

أمــا بالنــسبة لثــورة ٢٠١١ في مــصر، تبــدو الرســائل المــتغيرة الــتي نقلــها مــسؤولو البيــت الأبــيض أثنــاء أســابيع المظــاهرات نتيجــة لنــوع مختلــف مــن الــصراع الــداخلي: الــصراع بــين مناصــري الإصــلاح النظــامي القــدامى في العــالم العربــي ومؤيــدي التغــيير الثــوري. مـــن جانـــب، أدلى نائـــب الـــرئيس جوزيـــف بايـــدن بتــصريحات تؤيــد مبــارك كحليــف قــديم في المنطقــة، وبــدا مبعــوث أوبامــا فرانــك وايزنــر مــدافعا عــن الــسماح لمبــارك علــى الأقــل باســتكمال الأشــهر المتبقيــة في فترتــه الرئاســية. وعلــى جانــب آخــر، مــع تــوالي الأحــداث، صــرح متحــدث باســم البيــت الأبــيض ومــن بعــده الــرئيس الأميركــي ذاتــه بتــصريحات حــادة عــن مبــارك وقبلــوا بالإطاحــة بــه. يبــدو أن المعــسكر الأول كــان يفــضل الحفــاظ علــى الاســتقرار في مــصر، بينمــا يــرى المعــسكر الثــاني أن الاتجــاه الثــوري في المنطقــة قد يكون بنّاء أو حتميا أو كليهما.

علــى أي حــال، لاقــت موجــة التظــاهرات الــتي اجتاحــت الجمهوريــات العربيــة قــدرا مــن الاهتمــام في وســائل الإعــلام الأميركيــة أكثــر مــن «الحركــة الخــضراء» الإيرانيــة. وفيمــا يــشبه الإجمــاع، صــورت شــبكات التلفزيــون الأميركيــة الأحــداث الــتي وقعــت علــى أنهــا ثــورات ديمقراطيــة. وكمــا قالــت المذيعــة الأميركيــة البــارزة راشــيل مــادو: «نحــن نــشاهد شــيئا يــؤثر فينــا كــأميركيين لأنــني أعتقــد أن الأميركــيين مــن اليــسار أو الــيمين أو الوســط يؤمنــون بحكومــة الــشعب، مـــن قِبَـــل الـــشعب، ومـــن أجـــل الـــشعب – وعنـــدما نـــرى شـــعبا في أي دولـــة في العـــالم يحـــاول تحقيق ذلك بوسيلة سلمية نقف بجانبه تلقائيا».

لاقــت هــذه الرؤيــة أيــضا تــشجيعا مــن بعــض الشخــصيات العربيــة الــتي بــرزت في وســائل الإعــلام الأميركيــة بــصفتهم متحــدثين غــير رسمــيين عــن الثــوار – وأبــرزهم الــصحافية المــصرية منــى الطحــاوي، الــتي أعلنــت أمــام الجمهــور: «مــن الرائــع أن تكــون ثــائرا

عربيا. إنها رسالة من منطقة في العالم تقل أعمار غالبية سكانها عن ٣٠ عاما». وفي مئات المرات التي ظهرت فيها في حوارات ولقاءات رفيعة المستوى، صرحت الطحاوي للأميركيين أن ثقافة الفردية حلت بدرجة كبيرة محل الهويات والتقاليد الجماعية في العالم العربي. كما انتقدت أيضا الأميركيين الذين أعلنوا انزعاجهم من صعود الجماعات المتطرفة، مثل ليلى أحمد الأستاذة في جامعة هارفارد، واتهمتهم بعدم إدراك الواقع الجديد في الشرق الأوسط.

هل يوجد منطق موحد؟

هكذا تعكس الصورة الظاهرة انقساما بين معسكرات أميركية متنافسة، بالإضافة إلى جهل عام بالأحداث في الشرق الأوسط يغذيه إعلام يتأثر كثيرا بأصوات أجنبية ذات تأثير. ولكن في زيارات إلى المنطقة، وجدت أن العديد من العرب يشعرون بعدم إمكانية تبرير سياسات واشنطن تجاه الشرق الأوسط بوجود خلافات داخلية أو مجرد عدم فهم. ولكنهم يرون بدلا من ذلك محاولة مترابطة ثابتة من الأميركيين – سواء في إيران أو مصر أو غيرها من الدول – لعقد صفقات مع الحركات الإسلامية من الملالي في طهران إلى الإخوان المسلمين في مصر. ومن بين الأدلة التي يسوقونها عادة الدعم الأميركي للمجاهدين ضد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان في الثمانينات من القرن الماضي، ومحاولات الرئيس باراك أوباما التعامل مع الإخوان المسلمين بصفتهم شركاء بعد انتصاراتهم الإنتخابية في مصر وتونس. ووفقا لهذا المنطق، يصبح ضغط الإدارة في الوقت الحالي على الجيش المصري بمشاركة الإخوان في السلطة مجرد مثال جديد على اتجاه مستمر منذ عشر سنوات.

على الرغم من أن هذه النظرية لا تفسر بمفردها رفض أميركا تبني الثوار التابعين للإخوان المسلمين في سوريا، إلا أنها لا تخلو من الصحة. في الحقيقة يبدو خطاب السياسات الذي يرجع إلى عام ١٩٩٢ وألقاه مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في ذلك الوقت إدوارد دجيرجيان، وكأنه يبلور منطق التعاون مع الإسلاميين ويضع ذلك هدفا أميركيا طويل الأجل. صرح دجيرجيان بأنه «لا يوجد جهد دولي موحد أو منسق خلف هذه الحركات»، في إشارة إلى أفرع الإخوان المسلمين في الشرق الأوسط، واقترح أنه على الأقل بعض عناصر الإخوان يسعون إلى دعم «حرية الانتخابات.. واستقلال القضاء.. وسلطة القانون.. وحقوق الأقليات والحقوق الفردية..» ويبدو أنه اعتقد أيضا أن الإسلاميين المعتنقين لهذه الآراء سوف يكونون درعا حامية من المقاتلين الجهاديين.

ولكن في الجهة المقابلة، على الرغم من وجود دليل يؤكد نظرية سعي الأميركيين باستمرار إلى الشراكة مع حركات إسلامية، ربما يمكن الاستفادة من الكشف عن نقاط الضعف بدلا من التركيز على نقاط القوة.

صحيح أن واشنطن سعت أثناء الحرب الباردة إلى التعاون مع خصوم الاتحاد السوفياتي ذوي الاتجاهات الدينية، من البابا جون بولس الثاني إلى عبد الله عزام. ولكن وفقا لباتريك كلاوسون، مدير الأبحاث في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، أصبح هذا النهج باليا مع سقوط الستار الحديدي. وإذا كان هناك أي استمرار منذ ذلك الحين حتى الآن، فهو، بحسب قول كلاوسون، «لأن الولايات المتحدة تحاول باستمرار عقد صفقات مع من يكون في السلطة».

يعكس خطاب دجيرجيان بالفعل آراء مدرسة فكرية بارزة تجاه الإخوان المسلمين في واشنطن، بيد أن هناك مدرسة أخرى تنظر إلى الجماعة بعداء عميق، وتتمتع بنفوذ خاص بها في بعض الأحيان. لذا تجدر دراسة كلتا المدرستين، أصولهما ومواقفهما من التطورات الإقليمية الراهنة – واتجاهاتهما.

مناصرو الجماعة من الأميركيين

يُعتقد أن الخطاب المدافع عن التعاون مع

الإسلاميين الذي ألقاه دجيرجيان في عام ١٩٩٢ تأثر بمدرسة أكاديمية من بين قادتها جون إسبوزيتو، أستاذ الشؤون الدولية في جامعة جورجتاون. تدفع دراسات إسبوزيتو بالضرورة إلى أن بعض الجماعات الإسلامية – ومن بينها قادة الإخوان المسلمين وتابعيها في العديد من الدول الإسلامية – تتميز في جوهرها بأنها إصلاحية حداثية تحمل طابعا إسلامية وتستحق التعاون البنّاء. من خلال أسفاره الممتدة في الأراضي العربية والإسلامية، أقام إسبوزيتو ودارسون مشابهون له في الفكر شبكة من المثقفين البارزين المنتمين للجماعات الإسلامية، وسهلوا التعاون بينهم وبين نظرائهم الأكاديميين والسياسيين في الغرب.

ومع مرور الوقت، أصبح لهذا المشروع الأميركي من التبادل المعرفي مع الإسلاميين إطارا مؤسسيا: ويعد مركز واشنطن للإسلام والديمقراطية أحد نماذج منتديات السياسات الأميركية المرموقة التي تناصر بفاعلية التعاون الأميركي الإسلامي.

ولكن لم يتوقف دعم الإخوان المسلمين على النقاشات بين مثقفين رفيعي المستوى. ففي مطلع الستينات، أقامت جماعة الإخوان ذاتها بنية تحتية لغرس تعاليمها ونشاطها في الولايات المتحدة ليخرج منها أجيال من المؤيدين القادرين على الخروج بحملتهم إلى الشارع والإعلام بل وأيضا دوائر السلطة. عملت «جمعية الشباب العربي المسلم» التي توقف نشاطها حاليا وهي أحد فروع جماعة الإخوان المصرية، و«الجمعية الإسلامية لفلسطين» التابعة لحماس، على إحضار يوسف القرضاوي وخالد مشعل وغيرهما من الشخصيات البارزة في الجماعة لزيارة مؤيديها في الولايات المتحدة. وتصدر المجلس الإسلامي الأميركي، المتوقف عن العمل حاليا، محاولات إدخال مثل هذا النشاط إلى واشنطن، وحشد الضغوط على الكونغرس والبيت الأبيض باسم قضايا الإخوان. في أثناء الأعوام الأخيرة من الحرب الأهلية الجزائرية، على سبيل المثال جاء المجلس الإسلامي الأميركي بقائد الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر إلى واشنطن في محاولة لمساعدته في عرض قضيته على الكونغرس ضد اعتداءات الجيش الجزائري على حركته.

وفي البداية وفي فترات مختلفة، حصلت جميع هذه الجماعات على تمويل هائل من متبرعين عرب، ولكنها سعت أيضا إلى موارد بديلة للدعم المالي من الخارج والداخل، حتى لا تعتمد على ممولين تخشى نفاد صبرهم في المستقبل. وفقا لمسؤول أمني متقاعد اشترط عدم ذكر اسمه: «كون هؤلاء شبكة واسعة للغاية. وكانوا سعداء بقبول الأموال تقريبا من أي مصدر أجنبي أو محلي». في النهاية تم القبض على العديد من أعضاء الجمعيات الإخوانية ومحاكمتهم بسبب التورط في عدة أنشطة غير قانونية: حيث قدموا دعما ماليا لحماس في منتصف التسعينات من أجل حملة من الهجمات الانتحارية التي استهدفت نسف معاهدة أوسلو، التي وقعت عليها في ذلك الحين السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية.

ولكن خرج من هذه المنظمات جيل ثان من النشطاء بقيادة عضو الجمعية الإسلامية لفلسطين سابقا نهاد عوض، ليقيموا كيانا ناجحا يحمل اسم مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية. يرجع الفضل إلى هذا المجلس في محاربة «الإسلاموفوبيا» بلا كلل من خلال مزيج من النشاط الإعلامي والتظاهرات في الشوارع، مما أكسبه دعما كبيرا من المسلمين الأميركيين بالإضافة إلى وسائل الإعلام والسياسيين في الولايات المتحدة. كما استفاد أيضا من هذا التعاطف في العمل الحقوقي باسم الإخوان المسلمين. إضافة إلى ذلك حقق المجلس نجاحا كبيرا في تهميش الأميركيين، مسلمين أو غير مسلمين، الذين ينتقدون فكر الإخوان، متهما إياهم أيضا بالإسلاموفوبيا. واليوم أصبح مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير) أكبر منظمة مسلمة أميركية في الولايات المتحدة تتمتع بتعاطف سياسي في المقام الأول من الحزب الديمقراطي وأعضائه والإعلام المشابه له

في الفكر.

معارضو جماعة الإخوان من الأميركيين

في مقابل مؤيدي الإخوان في الولايات المتحدة، عمل خصوم الجماعة على مدار عقود من أجل تقويضها سياسيا، على كل من المستوى الفكري والسياسي، ومن جانب الإعلام والشارع بين حين وآخر. ورغم تحقيق قدر من النجاح في بعض الأحيان، فإنهم أيضا واجهوا صعوبات. على المستوى الفكري، استمرت بعض مراكز الأبحاث في واشنطن – على سبيل المثال، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى – في توجيه الانتقادات للجماعة. يرفض المدير التنفيذي للمعهد روبرت ساتلوف بحدة رؤية دجيرجيان بأن الجماعة ليست منظمة عالمية ويعارض فكرة أنها قد تكون قوة تدفع نحو التنمية الديمقراطية. أوضح ساتلوف أفكاره المتعلقة بالثورات العربية في شهادة أدلى بها أمام الكونغرس في أبريل (نيسان) ٢٠١١، حيث قال: «إن جماعة الإخوان ليست كما يقول البعض مجرد منظمة رخاء اجتماعي أهدافها إنسانية في الأساس. أعتقد أن المنظمة سوف تستغل أي فرص تقدم لها (مما يؤدي إلى).. إمكانية تنام مخيف للنزعة الطائفية بين المسلمين والأقباط بل وتعميق الصراع بين المسلمين من السلفيين والصوفيين».

ساتلوف أيضا أحد أبرز الأصوات في واشنطن التي تدافع عن التحالف القوي بين الولايات المتحدة وإسرائيل. استعان مؤيدو الإخوان أيضا بهذا الجانب من خلفيته في محاولة للتشكيك في أفكاره بشأن جماعتهم بين معارضي إسرائيل في واشنطن. في الماضي، أعاب البعض أيضا على ساتلوف أن آراءه تحمل قدرا كبيرا من التكهنات: لم تكن جماعة الإخوان فعليا خضعت لاختبار السلطة وهكذا كان من غير المعلوم كيف ستتصرف إذا منحت فرصة الحكم. وأكد قادة الجماعة مرارا أنهم ملتزمون بدعائم الديمقراطية.

بعيدا عن دوائر السياسة، انخرط خصوم الجماعة أيضا في الإعلام والنشاط السياسي. ولعل أبرز نموذج هو ستيفن إيمرسون، الصحافي الذي أخرج في عام ١٩٩٤ فيلما تلفزيونيا وثائقيا تحت عنوان «الجهاد في أميركا». يلقي الفيلم الضوء على المؤتمرات التي أقيمت في الولايات المتحدة بتنظيم من حماس وجماعة الإخوان المصرية، ويتعقب الصلات بينها وبين العمليات المسلحة التي جرت في الشرق الأوسط والغرب أيضا. من المعتقد أن مشروع قانون مكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٥ اعتمد إلى حد ما على الصدمة التي تسبب بها هذا الفيلم. كما أيدت الأعمال البحثية المستمرة التي يقوم بها من خلال جمعية لا تستهدف الربح تحمل اسم «المشروع الاستقصائي» اعتقال وإدانة العديد من النشطاء الإخوان في أميركا. ولكن استخدمت تصريحات متتالية أدلى بها إيمرسون، اعتبر أحد تصريحاته الذي تضمن إشارة إلى أن الإسلاميين وراء تفجير مدينة أوكلاهوما في عام ١٩٩٥، من قبل مؤيدي الإخوان مثل «كير» سببا لاتهامه بـ«الإسلاموفوبيا».

على مدار الأعوام العشرين الماضية، طاردت مثل هذه الاتهامات إيمرسون، بيد أنه احتفظ بشبكة أنصار واتصالات في المؤسسة الأمنية الأميركية، وتشجيع من عناصر محافظة داخل الوسط السياسي لاسيما داخل الحزب الجمهوري.

تكمن نقطة الضعف الرئيسة التي اتسم بها خصوم الإخوان في الولايات المتحدة، على النقيض من منافسيهم، في عدم إقامتهم لتحالف دولي ملائم من الأصوات المعارضة للإخوان في بعض الدول العربية. ويبدو على سبيل المثال أن الأصوات المدافعة عن إسرائيل في واشنطن ونظرائها في العواصم العربية عاجزة عن خرق حاجز الشك – وسط مرارات الصراع الفلسطيني الإسرائيلي – مما كان يستلزم إقامة تحالف مستمر.

تغير التحالفات من ١١ سبتمبر وحتى اليوم

عززت مأساة الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠١، وما تلاها في ظل إدارة بوش من صلابة

التحالفات السياسية المعارضة لجماعة الإخوان وتلك المؤيدة لها. في ظل حكم رئيس جمهوري، أدت الحملة التي شنت ضد نشاط حماس والإخوان في الولايات المتحدة إلى عشرات المحاكمات ومنع قادة من الإخوان والمتعاطفين معهم من دخول البلاد للقاء زملائهم الأميركيين. أثارت هذه الأفعال غضب جماعات الحريات المدنية وضاعفت تأييد الجماعة الإسلامية للحزب الديمقراطي.

في الوقت ذاته، أسفرت إخفاقات حرب العراق عن تبعات غير مقصودة للبيت الأبيض والأوساط السياسية في واشنطن. على الرغم من أن الرئيس بوش معارض قوي للجماعات المتطرفة التي أشار إليها في بعض الأحيان بالفاشية الإسلامية، فإنه قدم خدمة جليلة للملالي في طهران بأن سمح بالعملية الإنتخابية في بغداد التي مكنت وكلاء إيران في بغداد من الوصول إلى السلطة. ووجد مؤيدوه الجمهوريون، الذي رفضوا في الماضي التدخل في جهود «إعمار الدول» في الخارج، أنهم يدافعون عن «أجندة ديمقراطية في العالم العربي، بينما وصل العديد من الديمقراطيين كرد فعل إلى كراهية شعار (نشر الحرية)». ودعوا إلى الانسحاب العسكري من أفغانستان والعراق و«بناء البلاد في الداخل». صوت الناخبون الأميركيون القلقون من الحرب لصالح الرئيس أوباما في عام ٢٠٠٨ على أساس برنامجه الإنتخابي بوقف التدخل في الخارج. وانسحب أوباما من العراق وأفغانستان، وسعى إلى تجنب المواجهة مع أطراف خارجية مثل إيران وتحاشى تدخلات عسكرية خشي أن يكون من الصعب الخروج منها مثل سوريا.

ولكن أخيرا، في وسط الاضطرابات التي وقعت في الجمهوريات العربية، عاد الحزبان إلى موقفيهما الفكريين التقليديين فيما يتعلق بـ«تصدير الديمقراطية». في رد فعل يعكس ارتيابا في الحراك الثوري في مصر، أصدر العديد من الجمهوريين تحذيرا لمعارضي الإخوان في واشنطن بأن الاستيلاء الإسلامي على السلطة أصبح وشيكا، بينما احتفل الديمقراطيون، مدعومين بالبهجة التي سادت وسائل الإعلام في البداية، بانتقال السلطة. وبعد الانتخابات في مصر وتونس، شعر الجميع بخيبة الأمل في النتائج ولكنهم أيدوا العملية الديمقراطية من حيث المبدأ وتبنوا سياسة الانفتاح مع الحكومتين الجديدتين بقيادة الإخوان. ولاقى هذا النهج ترحيبا طبيعيا من مجتمع المفكرين المدافعين عن الإسلاميين في واشنطن.

على مدار الأسابيع القليلة الماضية، لم يكن مفاجئا أن نجد إدارة أوباما تمارس ضغوطا غير مسبوقة على الجيش المصري لوقف حملته ضد الإخوان. تتفق مخاوف واشنطن بشأن تدهور أوضاع الحريات الإنسانية في مصر ونوايا الجيش على المدى البعيد مع القيم الديمقراطية الأميركية، بالإضافة إلى أن التكيف مع الإخوان أصبح أحد أعمدة سياسة أوباما.

ربما لم يصل البيت الأبيض إلى قبول حقيقة أن الإرادة الشعبية في مصر ومعظم أنحاء العالم العربي تحولت بحدة كاسحة ضد الجماعة.

أما بالنسبة للنشطاء الأميركيين الذين يؤيدون الجماعة، فقد شهدت الأعوام الأخيرة نجاحات جديدة. في حين اعتمد «كير» في الماضي على تمويل من دول خليجية، إلا أنه أصبح الآن يتمتع بدعم من قاعدة مانحين محلية ثرية في الولايات المتحدة، ويحصل على منح أيضا من بعض المنظمات الأميركية التي لا تستهدف الربح. ومكنت مكاسب الإخوان الإنتخابية في العام الماضي «كير» من الاحتفاء بجماعته باسم «الديمقراطية»، وبعد إطاحة الجيش بمرسي، نظم المجلس احتجاجات في واشنطن دفاعا عن العملية الديمقراطية في مصر.

في الوقت ذاته، يتعرض خصوم الإخوان القدامى لعزلة سياسية نسبيا. وهذا إلى حد ما بسبب حقيقة أن الأصوات الجديدة التي تظهر، مثل الناشطة باميلا غيلر، تقدم مساهمات قليلة في النقاش العام وتوصف بأنها متعصبة ضد الإسلام. يُذكر أن غيلر

قالت: «الإسلام ليس عرقا، بل آيديولوجيا.. أكثر آيديولوجيا راديكالية ومتطرفة على وجه الأرض».

ألحقت شخصيات مثل غيلر ضررا بصناع السياسات الذين يحترمون ويقدرون الإسلام كدين ولكنهم ينتقدون الأحزاب الإسلامية مثل الإخوان. وفقا لما قاله آلان لوكسنبرغ، رئيس معهد أبحاث السياسات الخارجية ومقره في فيلادلفيا: «يجد منتقدو الإخوان من حيث المبدأ صعوبة في أن يُنصت إليهم في واشنطن أو وسائل الإعلام العادية لأنهم يصنفون مع من يبدون كراهيتهم للإسلام كدين. يشبه ذلك ما فعله السيناتور جو مكارثي عندما أساء إلى سمعة معارضي الشيوعية: حيث أضر بالقضية التي اعترف بأنه مؤمن بها».

والآن بعد أن تحولت الإرادة الشعبية ضد الإخوان المسلمين في معظم أنحاء العالم العربي، تجد غالبية العرب وحكوماتهم من الصعب عليهم إقامة تحالفات في واشنطن. وعندما ينظم مجلس «كير» مظاهرات في شوارع واشنطن اليوم، يستطيع أن يناصر الجماعة بأسلوب يمس وترا عميقا لدى الأميركيين: استعادة الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان. في العالم العربي، ربما يميل كثيرون إلى الرد على ذلك بأن الحكومات التي يقودها إخوان تمثل تهديدا أكبر لحقوق الإنسان. وسيرغبون في الإشارة إلى أن المسار نحو الديمقراطية طويل وتدريجي، ويتضمن تغذية مستمرة لمنظمات المجتمع المدني والتعليم من أجل التغيير الثقاف، وليس فقط الانتخابات. ولكن من يتبنون هذه الآراء يغيبون بصورة كبيرة عن شوارع واشنطن. ولم يقيموا شبكة إعلامية أو منظمات سياسية لازمة لتقديم وجهات نظرهم في الأوساط السياسية. وفي حين توجد بعض الأصوات في أميركا التي تتعاطف معهم، فإن عوائق السياسة واللغة والتعاون المؤسسي بينها وبين المجتمعات العربية ما زالت قائمة.

الطريق قدما

تطرح الاستعدادات التي تجري في الوقت الحالي من قبل الحزبين الجمهوري والديمقراطي لانتخابات الكونغرس الأميركي لعام ٢٠١٤ رؤية حول الاتجاه المستقبلي للسياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط.

تشير دراسة حديثة أجرتها مجموعة «غالوب» للإحصاءات إلى أن ثقة الأميركيين في اقتصادهم تواصل تراجعها. وفي المجمل، فإنه على مدار السنوات الخمس الماضية، عانت البلاد من حالة ركود طويلة وارتفاع في معدلات البطالة، الأمر الذي أدى إلى شعور الكثير من الشعب الأميركي بالقلق حيال أية مشاركة خارجية وغير داعمة من المساعدات المُقدمة للدول الأجنبية. ويوضح أحد استطلاعات الرأي أيضًا أن هناك فجوة هائلة في الإدراك في الولايات المتحدة الأميركية حول مدى الإنفاق على المساعدات الخارجية: وأظهر أحد استطلاعات الرأي الذي تم إجراؤه في عام ٢٠١٠ أنه على الرغم من أن نسبة المساعدات الخارجية تمثل ما يقرب من ١,٥٪ من الميزانية الفيدرالية، فإن تقديرات الأميركيين لتلك المساعدات تبلغ نسبتها ٢٥٪ من الميزانية.

وفي السياق ذاته، ليس مفاجئا أن نجد العضو الأبرز في الحزب الجمهوري السيناتور الليبرالي راند بول هو المُرشح المحتمل لرئاسة البلاد لعام ٢٠١٦. كان والد بول عضوا بالكونغرس عن ولاية كنتاكي لفترة طويلة، حيث اتسم بصراحته الواضحة واتباعه لسياسة «عدم التدخل» – فيما وصفه البعض بأنه «منعزل» – حيث دعا إلى انسحاب كبير للقوات حول العالم ووقف شبه كامل للمساعدات الأجنبية المقدمة للشرق الأوسط. وبينما نأى بول الابن بنفسه عن هذه المواقف الأكثر تطرفا، يبدو أن شعبيته تستمر في الارتفاع في بعض الأوساط لاعتقادهم أنه يتسم بصفات والده. ومن غير المفاجئ أن بول كان عضوًا بارزًا ضمن الجماعة المكونة من الحزبين التي دعت إلى قطع الولايات المتحدة الأميركية للمعونات

العسكرية والاقتصادية المُقدمة لمصر.

ومن غير المتوقع أن يغير بول أو الحركة التي يُمثلها – ناهيك عن القيادة الديمقراطية – السياسة الأميركية بعدم التدخل في سوريا. ويميل ذلك الاتجاه الواسع للسياسة الأميركية، الذي يضم النسبة الأكبر من الديمقراطيين ونسبة كبيرة من الجمهوريين، إلى دعم التوصل إلى تسوية سياسية بوساطة دولية للصراع القائم في سوريا، على الرغم من أن تلك العملية قد تستمر لأجل غير مسمى. ومن المحتمل أن تذعن هذه الكتلة لسياسة «احتواء» إيران النووية، بدلاً من مواجهتها عسكريا. وتتطابق تلك السياسة مع غرائز سياسية حالية ويدعمها خبراء أميركيون محترمون توصلوا إلى أن الاحتواء هو الخيار الأقل سوءًا. ومن بينهم كينيث بولاك، الذي عمل في السابق بوكالة الاستخبارات المركزية كمحلل عسكري، علاوة على كونه عضوا بمجلس الأمن القومي، وهو في الوقت الحالي كبير زملاء في مركز سابان لسياسات الشرق الأوسط بمؤسسة بروكنغز، ومؤلف كتاب سوف يصدر قريبًا يتناول فيه خيارات السياسة الأميركية تجاه إيران. وعن آرائه يقول بولاك: «أعتقد أن الحل الصحيح لأزمة برنامج إيران النووي يتمثل في التوصل إلى تسوية عن طريق التفاوض، (ولكن) إذا لم نكن قادرين على التوصل إلى مثل هذا النوع من الاتفاق مع الإيرانيين، فإنني أفضل خيار احتواء إيران، والأفضل احتواؤها ونحن قادرون على خرق ذلك، بدلاً من احتوائها في ظل امتلاكها لترسانة نووية فعلية مجهزة.. إنني أقول ذلك من منطلق أنني أحد الأشخاص الذين قاموا بدراسة الخيارات العسكرية جيدًا، ولا أؤمن أن الخيارات العسكرية هي خيارات غبية أو مجنونة أو أن الأشخاص الذين يدافعون عنها هم أشخاص أغبياء أو يتسمون بالجنون.. ولكني أشعر أن مخاطر احتواء إيران وتكاليف ذلك – حتى إن كانت إيران النووية – لا تزال مُفضلة عن التكاليف والمخاطر التي سنتكبدها إثر شن حرب مستمرة مع إيران».

وفي مفارقة، يبدو وكأن أشباح الحرب الباردة تطارد التصورات الأميركية لسوريا بالإضافة إلى إيران. أما عن الوضع في سوريا، فإن البيت الأبيض والرأي العام يخشون من أن دعم الثوار قد يعد تكرارا لذلك الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة الأميركية للجهاديين في أفغانستان في الثمانينات من القرن العشرين، مع حدوث التأثيرات اللاحقة المفجعة ذاتها.

ووفقًا لما ذكره طوني بدران، الكاتب البارز والباحث في شؤون الشرق الأوسط، فإن «إدارة أوباما لا ترغب في ظهور موجة جديدة من المحاربين الأجانب الذي يستفيدون من التدريب في سوريا، ومن ثم يتجهون لمهاجمة أهداف في الغرب، مثلما حدث في أفغانستان. وتتمثل المأساة حقًا في أنه من خلال عدم دعم الثوار الذين يتبنون مناهج سياسية وسطية في سوريا، فإن المخاوف الأميركية حينئذ سوف تصبح نوعًا ما من النبوءة التي سوف تتحقق. سوف يزداد وجود الجهاديين في سوريا، خاصة في شرق سوريا وشمالها». وفي الوقت ذاته، فإن ذكرى النجاح في التأكد من قدرة الاتحاد السوفياتي النووية خلال الحرب الباردة قد تعزز ثقة هؤلاء الذين يعتقدون أنه من الممكن احتواء دولة إيران النووية أيضًا.

هيلاري كلينتون الصوت الأبرز في الحزب الديمقراطي

أما عن السياسيين الذين يرجحون تبني موقف أكثر تدخلاً في السياسة الخارجية، تبرز من بينهم هيلاري كلينتون التي تُعد الصوت الأبرز في الحزب الديمقراطي، التي قد تكون مرشحة الحزب لخوض انتخابات الرئاسة لعام ٢٠١٦. في السابق، دافعت كلينتون عن سياسة إيران الأكثر تشددًا، وباعتبارها وزيرة الخارجية، فقد أبدت ميلا أقوى نحو التدخل في الشأن السوري، ولكن يبدو أن الرئيس وبعض كبار مستشاريه حجموا هذا الاتجاه. وفي الوقت ذاته، فمن بين الجمهوريين،

نجد أن القائد الصاعد للمدرسة التي تتبنى مبدأ التدخل هو حاكم نيو جيرسي كريس كريستي، وهو المنافس المحتمل لراند بول. وخلال الأسبوع الماضي، في خطاب شهير، انتقد كريس «التحررية» بشدة في كلا الحزبين قائلاً: «باعتباري مدعي عام سابق قام بتعيني الرئيس جورج دبليو بوش في اليوم الموافق العاشر من سبتمبر (أيلول) لعام ٢٠٠١، فإنني أرغب في أن أكون حذرًا حقًا، لأن النزعة التحررية المنتشرة في الوقت الحالي في كلا الحزبين وتتصدر عناوين الأخبار تعكس، في اعتقادي، فكرا خطيرا للغاية».

أما فيما يتعلق بالوضع في مصر، فلا يوجد من يؤيد التدخل فيه مثل جون ماكين – المدافع بقوة عن تقديم الدعم للثوار في سوريا – الذي أحبط العديد من العرب الذين يدعمون الحملة المستمرة التي يشنها الجيش المصري ضد الإخوان. في الأسبوع الماضي، انضم ماكين لراند بول وآخرين في وصف عملية الإطاحة بمرسي باعتبارها «انقلابًا عسكريا»، ودعا الولايات المتحدة الأميركية لقطع المعونات العسكرية الكبيرة التي تقدمها إلى مصر.

وعلى الرغم من أن العديد من العرب يرون أن مواقف ماكين تجاه مصر وسوريا تحمل تناقضا، فإن التمعن في تصريحاته حول البلدين يوضح أن هذه التصريحات تأتي من مصدر واحد في عقله. يوضح ماكين تصوره للمشهد في سوريا بأنه خليط من التدخل الإنساني وبذل الجهد بهدف منع الجهاديين من السيطرة على المشهد. وسواء كان ذلك صحيحًا أم خاطئا، فإن لديه مخاوف بشأن مصر: ففي الأسبوع الماضي، أشار ماكين إلى أن «الإخوان المسلمين.. يختبئون» نتيجة للحملة القاسية التي يشنها الجيش ضدهم. ويوضح ماكين مخاوفه من أن حرمان الإخوان المسلمين من حقوقهم سوف يؤدي إلى نشوب حرب أهلية جديدة في مصر، وربما تحشد جمعا غفيرا جديدا من الجهاديين الدوليين أيضًا.

وهنا نجد مزيدا من التوضيح للفجوة المعرفية في واشنطن بشأن العالم العربي؛ فمن الواضح أن منطق ماكين يقوم على المقارنة الإشكالية بين المجتمع المصري من جانب والسياسة الداخلية لسوريا والجزائر من الجانب الآخر. ومن جانبهم، فإن مؤيدي الإخوان في واشنطن يستغلون هذه الفجوة المعرفية بالفعل.

واستشرافا للمستقبل، فإن التساؤل الذي يواجه العرب ذوي الرؤى المختلفة بشأن المنطقة، هو كيف سيكون في استطاعتهم توصيل أصواتهم لواشنطن.

ربما توجد بدايات الإجابة على التساؤل بين هؤلاء المحللين السياسيين الذين يدركون تماما لخطر الخفايا التي تجهلها الولايات المتحدة الأميركية عن الشرق الأوسط. أعربت ميشيل دن، مدير مركز «رفيق الحريري» للشرق الأوسط في المجلس الأطلسي، عن آمالها في توسعة العلاقات الأميركية مع المجموعات المعتدلة بالمنطقة وتقديم الدعم لها. وقالت: «أعترف أن الوضع السياسي مُحير. فهو يشمل تغيرا في اللاعبين السياسيين في دول مثل تونس ومصر وليبيا. وهناك بعض البرامج (الأميركية) التي تهدف إلى تقديم النصح والمساعدة وما إلى ذلك، ولكن كي أكون أمينة، لا أعتقد أنها تتناسب مع حجم التحدي القائم».

الاختلال الديني والوطني والتدخلات التقسيمية

رضوان السيد– الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

كان المشهد نزاعيا جدا من حول الأزمة السورية. فالخلاف لم يقتصر على التجاذب الأميركي والأوروبي من جهة، والروسي والصيني من جهة ثانية. بل تعدى الأمر ذلك إلى الإيرانيين وأتباعهم الذين يتفقون على الأسد ونظامه ويقاتلون معهما، والأتراك الذين صاروا يعادون النظام السوري، ويساعدون المعارضة السياسية، لكنهم لا

يريدون مخاصمة طهران رغم انزعاجهم منها لعدة أسباب منها السوري، ومنها الكردي، ومنها العراقي. وقد أتت فترة خيل فيها لعدة أطراف أنه ما عادت هناك مصلحة لأحد باستمرار النزاع والحرب إلا للطرف الإيراني الذي يعرف أن الوقت سيحل عندما لا يعود هناك إمكان للخروج من النووي وحصاراته غير المسالمة والتفاوض. إنما عندما يأتي ذلك الوقت، أي أوراق تكون بيده؟ طبعا العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن... إلخ. وكل هذه البلدان عربية، والمشترك بينها وهو الذي استطاعت إيران استخدامه: وجود شيعة (عرب بالطبع) فيها. وما دام الأمر كذلك، فإن هذه الجهود الإيرانية الهائلة على مدى عقدين وأكثر قد آن أوان استثمارها في تسوية الملف النووي. ولذا فإنه في الوقت الذي عرض فيه الرئيس روحاني على الغربيين التفاوض الودود في خطابه بالأمم المتحدة؛ فإن الحرب ازداد اشتعالها في سائر البلدان العربية التي ذكرناها، والتي لإيران فيها يد ورجل!

هناك من يخاف ويراهن على المبادلة أو المقايضة: تؤجل إيران النووي العسكري، وتحصل على صفقة بالبقاء والنفوذ في سوريا والعراق ولبنان. أما اليمن والبحرين – بحسب هذا الرأي - فإن إيران ستخرج منهما من أجل تسوية محتملة مع دول الخليج! بيد أن هناك من يقول: إن إيران تريد الخروج من النووي من أجل التخلص من الحصار، وليس من صالحها - بخلاف الفترة السابقة – تنصيب الشيعة أعداء للسنة في بلدانهم، كما أنه لم يعد بمقدورها إنفاق المليارات من الدولارات على الأسد وحزب الله وحتى في العراق! ولذلك فإن مقاربة روحاني جديدة وليست تساومية مثلما كان عليه الحال طوال أيام نجاد. إنما، أيا كان السبب، وأيا كانت النتيجة، يبقى السؤال المشروع: لماذا استطاعت إيران نشر الاضطراب في العالم العربي (حتى في مصر وفلسطين ودون وجود شيعة)، وما أمكن لأحد أن يزعزع استقرارها الداخلي رغم تنوعه الشديد؟!

ليس من شك أن العرب على وجه الخصوص (إلى جانب بعض الشعوب الإسلامية الأخرى) يعانون من اختلالات وطنية/ قومية ودينية. وهناك عوامل مختلفة أدت إلى هذين الاختلالين أو الاختلالات. فمن الجانب القومي، أدت تطورات الدولة الوطنية العربية بعد استيلاء العسكريين عليها، وإلغاء الانتخابات والدستوريات، إلى سيطرة أقليات إثنية ودينية وثقافية وجغرافية/ محلية على السلطة، وغلبة الأمن واعتباراته على مدى عقود، إلى شرذمة الصف القومي ثم الوعي القومي ثم الوعي الوطني ولدى العامة بالذات. ولذلك فقد قامت تحالفات واعية ضمن السلطة بين الأقليات من الأنواع السالفة الذكر، تقودها دائما أقلية قائدة يستتر مقدمها باللباس العسكري، وفي سوريا والعراق وليبيا والجزائر والسودان وتونس وموريتانيا وحتى لبنان. وفي أواسط التسعينات من القرن الماضي، بدا التشرذم الوطني والقومي في ذروته، إلى الحد الذي صار يظن أن استمرار الطغمة الحاكمة هو الضابط الباقي لوحدة الأوطان والسلطات (!). ولذلك فإن المفكر المعروف محمد جابر الأنصاري سخر في التسعينات من مقولة أرنولد توينبي العائدة إلى أواخر الخمسينات من القرن الماضي، والتي تقول، إن «العرب هم الأكثر توحدا في العالم من سائر النواحي والوجوه، ولذلك لن يأتي عام ١٩٧٤ إلا وقد أقاموا دولة واحدة!» وعندما قامت الثورات العربية أخيرا انذعرت سائر الأقليات بسوريا ولبنان والعراق (الأكراد) والسودان، باعتبار أن حركة الأكثرية العربية في المنطقة تهدد سلطات تلك الأقليات وامتيازاتها. بيد أن أحدا لم يجرؤ على الحركة في الشهور الأولى، بسبب الفوز الأكثري في مصر وتونس، والتدخل الخارجي في ليبيا. إنما جرأت روسيا التي شعرت بالإهانة في ليبيا، إيران والآخرين (بما في ذلك النظام الجزائري) على تبيان ميولهم الحقيقية. وهكذا تدرج الدعم الإيراني من المال والسلاح وخبراء الحرس الثوري، إلى الإعلان صراحة عن

البعد المذهبي (الأقلوي) للصراع: حماية المزارات الشيعية ومقاتلة التكفيريين! وبذلك فقد انتهت كل دعاوى المقاومة والممانعة، وقالت إيران إنها بصدد حماية الشيعة والأقليات الأخرى (ومنها العلويون) من فتك السنة بهم وتكفيرهم لهم. وهنا نصل إلى الاختلال الديني بعد الاختلال القومي والوطني.

إن فئات معتبرة من شبان السنة والشيعة هم في حالة ثوران منذ ثلاثة عقود ونيف. وقد استولت إيران على الثوران الشيعي من طريق الإنفاق الكثيف، والاستنفار الكثيف، ثم الاستخدام الكثيف لصالح الدولة القومية الإيرانية في مواجهة «العرب السنة». والطريف أنه بدلا من الحديث دوليا عن إرهاب الدولة الإيرانية على مدى أكثر من عقدين، وفي ديار العرب، وبعض ديار العالم، نجد أن أوباما يعتقد فجأة أن كل المشكلات مع إيران منذ أكثر من ٣٠ عاما يمكن أن تجد حلا خلال أشهر!

على أي حال، ليست العلاقات الأميركية - الإيرانية هي الموضوع هنا. بل الموضوع الثاني بعد الاختلال الوطني والقومي عند العرب، هو الاختلال الديني. فهناك انشقاق عميق في قلب الإسلام السني وهو ذو شقين: الشق الجهادي وهو الأخطر ظاهرا، وهو الذي اصطدم بالولايات المتحدة وسائر الأنظمة العربية من قبل، وهو يركز الآن (أكثر مما ركز بالعراق في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦) على العداء للشيعة في سائر الأنحاء وأبرز المواطن سوريا والعراق. أما الشق الآخر فهو الشق الحزبي أو التنظيمي وهو يتمثل في تنظيمات الإخوان المسلمين التي اصطدمت بالأنظمة العربية، لكنها لم تمارس عنفا على شاكلة الجهاديين. بيد أنها كانت الأكثر تأثيرا في تحويل المفاهيم الدينية وإنتاج الإسلام السياسي الأصولي حتى الشيعي منه على مدى ٤٠ عاما وأكثر. فقد اصطنع الإسلام الحزبي والمسيس هذا مقولة الدولة الإسلامية، وليس بمعنى البلاد التي فيها أكثرية إسلامية، بل إنه النظام السياسي الذي يكتسب شرعيته من طريق تطبيق الشريعة. هناك إسلام جديد فرض نفسه على الأخلاد والمجتمعات، وهو غريب جدا عن التقاليد العريقة للعرب والمسلمين في العيش والتصرف. ولا شك أن الجوانب الشعائرية والرمزية منه لها علاقة برد الفعل على الحداثة والعولمة. بيد أن الجوانب العقائدية/ السياسية صعبة التعليل وتتطلب التأمل العميق لأنها استطاعت إنتاج نظرية لدولة دينية في الإسلام، بحيث صار دين الأمة في نظر كثيرين لا يكتمل إلا بهذه الدولة!

إن خلاصة الأمر أن العرب يعانون من ضعف في الوعي القومي والوطني الذاتي وبخاصة ضمن الفئات الشابة، كما يعانون من اختلال في الموازين الدينية، بحيث صارت القومية وصار الدين يستخدمان ضدهم (!) وهذا غريب جدا لأن العرب من أقدم الأمم التي أنجزت وعيا تكامليا بين الاتي والثقافي والديني.

ما أسهمت الثورات العربية حتى الآن في تجديد الوعي الوطني والقومي، ولا أسهمت في ضبط الثوران الديني. ولا شك أن التصرفات الدولية والإيرانية كانت ولا تزال بين عوامل الاستنزاف وإحباط الوعي المستنير في الشأنين القومي والديني. لكن هذه الأصوليات والانشقاقات المتصارعة بالداخل الفردي والمجتمعي العربي تتجاوز أفاعيل الدوليين والإيرانيين إلى تشكك عميق بالقدرات، والعجز عن اجتراح المبادرات والخيارات الأخرى. وهذه ظاهرة خطرة يكون علينا جميعا الانشغال بها.

العد العكسي بدأ لمرحلة ما بعد المالكي

المدى برس–٢٠١٣/٩/٢٧

تتجمع مؤشرات لافتة على أن التقاطعات الأمريكية - الإيرانية التي شكلت العامل الأساس في إسناد السلطة إلى رئيس الوزراء الحالي نوري المالكي قبل ثلاث سنوات، سقطت سقوطا كاملا، وعلى مسافة أشهر قليلة من انتخابات ٢٠١٤ البرلمانية، كل شيء يدل على أن حسابات ما بعد المعركة لا تشبه ما قبلها.

آخر الأدلة على هذه الحقيقة يمكن تلمسها من نوري المالكي نفسه، الذي ألغى في اللحظة الأخيرة الرحلة التي كان ينوي القيام بها إلى نيويورك لأن باراك اوباما اعتذر، للمرة الثانية في أقل من عام عن استقباله، رغم أن الأجواء الأمريكية الإيرانية أفضل من أي وقت مضى، منذ أكثر من عشر سنوات.

قد سجل المراقبون أن رئيس الوزراء العراقي قرن هذا الإلغاء بعبارات عصبية ذ ّقال مخاطبا أخصامه السياسيين: إنه « القتل على الهوية ... لكن مهما فعلتم لن تتسلموا السلطة».

وليس سرا أن الرئيس الأمريكي كان قد رفض قبل عام بالتمام والكمال، ترتيب لقاء مع رئيس حكومة العراق، اثر طلب قدمه مكتب المالكي، عبر الأقنية الدبلوماسية، يومذاك امتنع الرجل عن المشاركة في الدورة الـ ٦٧ للجمعية العامة للأمم المتحدة، ولم يوضح مكتبه الأسباب التي حملته على هذا القرار.

وفي محاولة للتمويه على هذه الحقيقة تطوعت أوساط رئيس الحكومة يومذاك بالقول أن «المالكي لم يتلق دعوة لألقاء كلمة العراق» وكأن الحكومة الأمريكية هي التي توجه الدعوات لحضور جلسات الدورة العادية للجمعية العمومية.

من جهتها سربت مصادر البيت الأبيض في حينه (أيلول ٢٠١٢) أن الرئيس الأمريكي أراد أن «يعاقب» المالكي على السماح للطائرات الأيرانية بعبور الأجواء العراقية، كي تنقل الأسلحة والمعدات والمقاتلين إلى سوريا، دعما لنظام الرئيس بشار الأسد.

وفي اقتناع المراقبين والمحللين الأمريكيين أن موقف الأدارة الأمريكية البالغ التحفظ من حكم المالكي، لا يقتصر على تعاونه الإستراتيجي مع ايران في مساندة النظام السوري، وانما يتجاوز هذا التعاون إلى اهمال أو اسقاط كل التفاهمات التي وقعتها واشنطن وبغداد قبل الأنسحاب الأمريكي من العراق، وهي تفاهمات تشكل في مجموعها «اتفاقية الإطار الإستراتيجي» (تشرين الثاني ٢٠٠٨) التي تحكم العلاقات الأمريكية - العراقية في مرحلة ما بعد الأنسحاب.

وفي اقتناع المسؤولين الأمريكيين أن المالكي لم يفعل شيئا للحفاظ على الاتصال الوثيق بالولايات المتحدة، وانما فعل كل شيء لمنع واشنطن من الاحتفاظ بما تبقى لها من مصالح ونفوذ في العراق كما في جوار العراق.

ويبدو أن الولايات المتحدة تشعر أن أمامها فرصة جديدة لإعادة تنشيط علاقاتها مع العراق من خلال «اتفاقية الإطار الإستراتيجي»، كما أن أمامها فرصا أخرى لتنفيذ مشاريع ذات آثار كبيرة على العلاقات الثنائية بين البلدين على المستويين الأمني والنفطي معا.

وتقول مصادر البيت الأبيض أن الانتخابات التي يستعد لها العراق في ربيع ٢٠١٤ محطة مهمة في إعادة «تصويب» العلاقات الثنائية، وان مرحلة ما بعد المالكي يفترض أن تتيح هذا التصويب.

ويرى العديد من المراقبين أن الولايات المتحدة ساعدت عقب انتخابات ٢٠١٠، على انعطاف عملية تشكيل الحكومة في اتجاه المالكي،

ودعمته ظنا منها أنه قادر على المحافظة على الاستقرار الداخلي، لكن التجربة قادت واشنطن إلى استنتاجات معاكسة تماما، بدليل الأحداث والأزمات الهائلة التي يمر بها العراق اليوم، بعدما بات استمرار المالكي في الحكم مرادفا لكل الكوارث الصغيرة والكبيرة.

هل بدأ العد العكسي لاستبدال نوري المالكي؟

أوساط البيت الأبيض تصر على ان انتخابات ٢٠١٤، تعتبر «لحظة نجاح أو فشل»، على مستوى العلاقات الأمريكية - العراقية، في الوقت الذي تتسارع المشاورات الدولية لإعادة تركيب المنطقة أمنيا وسياسيا وإستراتيجيا.

وتضيف أن «زيادة التعاون الثنائي، قبل هذه الانتخابات، أو في معرض التحضير لها، يعتبر أفضل وسيلة لإعادة بناء التعاون الأمريكي - العراقي على أسس أكثر وضوحا».

وكل هذا يعني أن مرحلة المالكي انتهت أو تكاد أن تنتهي، في المنظور الأمريكي على الأقل.

مستقبل العلاقات الإيرانية - الأفغانية بعد فوز حسن روحاني

تامر بدوي– مجلة مختارات إيرانية - يوليو ٢٠١٣

كانت أفغانستان تاريخياً جزء من الأراضي الإيرانية، وفي القرن التاسع عشر في العصر القاجاري سعت بريطانيا لفصل أفغانستان عن إيران لتحويلها إلى منطقة عازلة بينها وبين الهند وذلك لخشية بريطانيا من تهديد الروس للهند عبر أفغانستان. مما دفعها إلى خوض حربين مع إيران هُزم فيهما القاجار.

وبموجب اتفاقية ١٨٥٧م مع بريطانيا انفصلت أفغانستان نهائياً عن الحكومة المركزية، ومع صعود طالبان للحكم سادت علاقة عدائية بين طالبان والجمهورية الإسلامية ودعمت إيران إسقاط حكم طالبان، ومع دخول قوات التحالف سادت علاقة معقدة ومركبة بين إيران ومختلف القوى الفاعلة في الساحة الأفغانية. وقد حاولت إيران على مدار أكثر من عشر سنوات تحقيق توازن بين مختلف القوى بالطريقة التي تحقق مصالحها الإستراتيجية اقتصادياً وأمنياً، ومع انسحاب قوات التحالف من أفغانستان يبرز أمام الرئيس الإيراني المنتخب حسن روحاني تحدى التعامل مع المشهد الأفغاني وتغير قواعد اللعبة، وهو ما سيجعل النظام الإيراني يسعى لتقديم نفسه كوسيط بين مختلف القوى، يمكنه أن يلعب دوراً في رسم الخريطة السياسية المقبلة، ومن ثم تأمين مصالحه الإستراتيجية والأمنية.

ويمكن استشراف مستقبل سياسات طهران تجاه أفغانستان في عهد الرئيس حسن روحاني من خلال دراسة السياسات الإيرانية تجاه الملف الأفغاني في سياق التنافس الإقليمي، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على استقبال الصحف الأفغانية للانتخابات الإيرانية وفوز حسن روحاني برئاسة إيران.

من المتوقع أن تتمركز السياسة الخارجية الإيرانية تجاه أفغانستان في عهد الرئيس حسن روحاني تزامناً مع انسحاب قوات التحالف حول أربعة محاور:

١- تعزيز التعاون مع حامد كرزاي وخليفته الذي سيأتي بعد الانتخابات الرئاسية القادمة، وذلك دون التخلي عن دعم الحلفاء الأفغان من مختلف الفصائل.

٢- المساهمة الفعالة في عملية إعادة البناء الأفغانية لتشكيل «مناطق نفوذ».

٣- محاولة إيران إبعاد صناعة القرار في النظام الأفغاني عن النفوذ الأمريكي.

٤- التعاون من الحكومة الأفغانية للسيطرة على المناطق الحدودية لمنع تهريب المخدرات إلى

أراضيها.

وتعتمد إيران لتحقيق هذه الأهداف على عدة وسائل تتراوح بين «القوة الناعمة» و«الدعم العسكري للحلفاء الأفغان». من هنا ستتشكل سياسات إيران المزدوجة خلال، الخطاب السياسي المرن الذي يتبناه حسن روحاني تجاه النظام الأفغاني من جهة، ومن خلال القوى والمؤسسات المتمركزة حول المرشد الذي يحركها الرجال المقربين من القيادة، والتي تعمل بشكل مستقل عن الرئيس في التعامل مع الملف الأفغاني في دعمها للقوى الأفغانية من مليشيات وقبائل من جهة أخرى. أما بالنسبة لأشكال ووسائل النظام الإيراني لتحقيق أهدافه في أفغانستان فتنقسم لثلاثة مستويات:

أولاً: الخطاب السياسي: يعتمد هذا المستوى على تحفيز الرئيس للنظام الأفغاني على التقارب من خلال اعتماد خطاب سياسي ودي يعتمد على التقارب المصلحي، ويستحضر المكون الثقافي والجغرافي كأساس للتقارب والتعاون بين البلدين، يلعب الدعم المادي لمسئولي النظام دوراً في عملية التأثير حيث كُشف في عام ٢٠١٠م عن إرسال إيران لمبالغ مالية بصورة دورية لمكتب الرئيس حامد كرزاي ونواب في البرلمان بالإضافة إلى عدد من مسئولي الأقاليم (هو أقرب ما يكون إلى الرشوة)، في مؤتمر صحفي صرح كرزاي بعد أن سأله أحد الصحفيين بأن إيران ترسل مرة أو مرتين سنوياً مبلغ يتراوح بين نصف مليون وسبعمائة ألف يورو.

ثانياً: القوة الناعمة: تلعب مؤسسة الإمام الخميني الإغاثية «كميته إمداد إمام خميني» دوراً بارزاً في نشر النفوذ الإيراني في أفغانستان كإحدى وسائل القوة الناعمة التي تستخدمها طهران، توظف المؤسسة ما يقرب من الثلاثين ألف موظف يعملون في أفغانستان، وتقدم المؤسسة دعماً مادياً للمواطنين الأفغان كسُلف لبناء المنازل، معونات شهرية أو مواد غذائية وطبية بالإضافة إلى الدورات التعليمية، وتعمل المؤسسة على نشر الأفكار والآراء السياسية المناصرة للنظام الإيراني. وتسهم إيران في بناء المكتبات العامة والمدارس والعيادات وتمهيد الطرق وتقديم مختلف الخدمات للمواطنين الأفغان، وتنشط المؤسسة في جميع المقاطعات والمدن الإيرانية وخاصة المناطق التي ينتشر فيها الهزارة (غور وهرات). ومن المُعتقد أن جهاز الاستخبارات الإيرانية يستخدم المؤسسة كغطاء له في أفغانستان، وتسعى إيران لاحتواء وسائل الإعلام الأفغانية الوليدة حيث يحاول الدبلوماسيون الإيرانيون العاملون في كابول توجيه عدد من الصحف والمحطات التلفزيونية نحو خطاب داعم لإيران والابتعاد عن الدائرة الأمريكية. كما تستخدم إيران عدداً من الوسائل غير المباشرة لنشر نفوذها في أفغانستان في محاولة لتقليص النفوذ الأمريكي من خلال تقديم خدمات تحقق من خلالها شعبية على الأرض.

إن أحد أولويات صناع قرار السياسة الإيرانية تجاه أفغانستان تشكيل منطقة نفوذ اقتصادي لنشر نفوذها من ناحية ولجعل أفغانستان معبر بري لنقل البضائع الإيرانية لبقية مناطق آسيا الوسطى من ناحية أخرى. وقد بدأت هذه السياسة الإيرانية عقب الاحتلال الأمريكي ففي مؤتمر طوكيو ٢٠٠٢ منحت إيران مبلغ ٥٦٠ مليون دولار للإسهام في عملية إعادة البناء وفي مؤتمر لندن عام ٢٠٠٦ منحت إيران ملبغ ١٠٠ مليون دولار. وفي عام ٢٠١٠ قدرت المفوضية الأوروبية حجم التبادل التجاري بين البلدين بأحد عشر مليون دولار، فيما صرح الرئيس حامد كرزاي في نفس العام بأن حجم التبادل التجاري وصل إلى ١,٥ بليون دولار. تعتبر إيران أفغانستان شريكها التجاري الخامس. وتتركز الاستثمارات الإيرانية في غرب أفغانستان في مدينة هرات القريبة من الحدود الإيرانية (التي يسكنها عدد كبير من الطاجيك والهزارة)، وتتوزع الاستثمارات الإيرانية بين بناء الطرق والكباري، قطاع التعليم، الزراعة، الاتصالات والطاقة، ووفقاً للغرفة التجارية الأفغانية

تنشط ٢٠٠٠ شركة إيرانية (تنتمي للقطاع الخاص) في مختلف القطاعات الاستثمارية في أفغانستان. وتتركز الجهود الإيرانية على ربط المدن الإيرانية بهرات عن طريق خطوط السكك الحديدية والطرق لتنشيط حركة التجارة والنقل. بالإضافة إلى استخدام إيران للاستثمار كأداة لتحفيز ودعم النظام وتستخدمه أيضاً كأداة للضغط، في عام ٢٠١١ اندلعت تظاهرة في هرات ضد قطع الوقود الإيراني الذي أدى إلى قفز سعر الوقود إلى ٦٠٪ من سعره وقفز إلى ٣٥٪ في كابول. ويميل ميزان التعاون التجاري بين البلدين لصالح إيران خاصة أن أفغانستان تحصل على نصف احتياجاتها من الوقود من إيران، وهو ما يجعل الضغط الإيراني على أفغانستان وسيلة فعالة للضغط على المصالح الأمريكية.

ثالثاً: دعم بعض الفصائل الأفغانية: تعتمد الجمهورية الإسلامية في تحقيق مصالحها في أفغانستان على دعم عدد من المليشيات والفصائل عسكرياً للحفاظ على ميزان القوى الداخلية، وذلك من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني. يُعتبر الشيعة الهزارة حليف إيران الأكثر قرباً (يشكل الهزارة أكثر من ١٠٪ من سكان أفغانستان) حيث تربطهم بإيران روابط اقتصادية ودينية وثقافية قوية، بدأ الدعم الإيراني للهزارة منذ الغزو السوفييتي لأفغانستان حيث بدأت إيران تمد مليشيات الهزارة بالسلاح والمدربين والخبراء من وحدة قوات القدس (قوات النخبة في الحرس الثوري الإيراني). بالإضافة إلى الهزارة دعمت إيران الطاجيك (الذين كانوا الفصيل المهيمن على تحالف الشمال الذي تكون من الطاجيك – الأوزبك – الهزارة) ضد حركة طالبان، بل أحياناً دعمتهم ضد الهزارة في التسعينيات (إحدى تجليات برجماتية النظام). إذاً تحافظ إيران على ورقة الدعم العسكري كوسيلة لحفظ توازن الداخل الأفغاني لضمان تحجيم حركة طالبان، بل وحتى الحفاظ على التوازن بين الفصائل الحليفة بقدر الإمكان.

لا شك أن حسن روحاني سوف يعمل على استكمال ما بدأه الرئيس الأسبق محمد خاتمي حيث يُشار إلى أن إيران فتحت مجالها الجوي لمرور الطائرات الأمريكية إلى أفغانستان عبر وساطة الأمم المتحدة وسمحت للقوات الأمريكية باستخدام أراضيها لنقل المساعدات الإنسانية. كما بدأت إيران في فتح قنوات مع الولايات المتحدة فيما يختص بالشأن الأفغاني بعد الغزو الأمريكي حيث شاركت إيران في مؤتمر بون بألمانيا (الذي رعته أمريكا) الذي عقد بحضور قادة تحالف الشمال (حظي التحالف بالدعم الأمريكي والإيراني)، وقد توافق الإيرانيون والأمريكان بعد مفاوضات على دعم حامد كرزاي. في سباق متصل صرح المبعوث والمفاوض الأمريكي جيمس دوبينز بأن إيران تعاونت بشكل كامل مع الولايات المتحدة في الملف الأفغاني حيث عرض المفاوض الإيراني المساعدة في إعادة بناء الجيش الأفغاني تحت الإشراف الأمريكي. ومع اقتراب رؤية روحاني وتوجهه الوسطي الإصلاحي من فكر خاتمي وسياسته يمكن التنبؤ بإمكانية التعاون المستقبلي بين إيران والولايات المتحدة في عملية الانسحاب وتعزيز الأمن إذا استطاع روحاني إقناع خامنئي في الحصول على قدر من التنازلات والمكاسب من الولايات المتحدة سواء في أفغانستان أو على صعيد ملفات أخرى.

ويمثل التعاون مع طالبان مدخلاً آخر للحركة الإيرانية حيث أعلنت حركة طالبان عن زيارة وفد من المسئولين في أواخر شهر مايو ٢٠١٣ رغم نفي الحكومة الإيرانية الزيارة. في حين تبرز أهمية هذه الزيارة تزامناً مع انسحاب قوات الاحتلال من أفغانستان وأهمية دور إيران في تأمين انسحابها.

فرغم تقلب العلاقة بين طالبان والجمهورية الإسلامية واتسامها بالعداء إلى حد ما، إلا أن برجماتية الطرفين كانت حاضرة دائماً للتعاون

وقت الحاجة. فاستمرار بقاء الحركة كان ضرورياً بالنسبة لطهران كموازن لخريطة القوى. لأن استمرار الحركة يعني تحجيم النفوذ الأمريكي وبقاء النظام الأفغاني في حاجة مستمرة لطهران، إلا أن إيران تستمر في دعمها القوي لميليشيات الهزارة والطاجيك حتى تضمن تحجيم طالبان أيضاً. فلا تكون قوية بالشكل الذي يهدد الحكومة المركزية بالكامل أو ضعيفة بالشكل الذي يسمح بسيادة النفوذ الأمريكي. تزامناً مع الانسحاب الأمريكي وإعادة تشكيل المشهد السياسي الأفغاني مع اقتراب موعد إجراء الانتخابات الرئاسية الأفغانية.

رابعاً: استقبال الصحف الأفغانية للانتخابات الإيرانية وفوز روحاني: كتب ظفرشاه روبي قبل الانتخابات الإيرانية بيوم مقالاً في جريدة ٨ صبح الأفغانية باسم «العلاقات الإيرانية الأفغانية بعد الانتخابات»، أورد فيه رأيين فيما يخص مستقبل السياسات الخارجية الإيرانية اتجاه أفغانستان.

الرأي الأول: أورد فيه رأي الأستاذ فريدون هاشمي الذي ذهب إلى أن التيار الإصلاحي يسعى إلى تحسين العلاقات الإيرانية مع دول الجوار، وفي حالة فوز مرشح إصلاحي فإن الوضع الأمني في أفغانستان سيتحسن، لأن تقارباً بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية سيؤثر حتماً على الوضع الأمني في أفغانستان، أما في حالة فوز مرشح من المعسكر المحافظ فإن فريدون يرى إمكانية تغيير المحافظين لرؤيتهم تجاه الولايات المتحدة ومن ثم أفغانستان.

الرأي الثاني: يشك الأستاذ مير محمد جوينده في تغيير النظام الإيراني لسياساته بعد الانتخابات وعلى العكس يرى أن إيران ستواصل سياساتها الانتقامية اتجاه الولايات المتحدة في أفغانستان، أما في حالة فوز مرشح إصلاحي فيرى جوينده احتمالية خروج إيران من عزلتها وتحسين علاقاتها بدول الجوار، ولكن في النهاية للمرشد قراره. ويمكن القول إن هذين الرأيين هما الرأيان السائدان في التنبؤ بمستقبل سياسات إيران الخارجية ليس فقط اتجاه أفغانستان بل بقية الملفات الإقليمية والدولية اعتماداً على التوقعات بمدى إمكانية التفاهم بين الرئيس والمرشد ومراكز الثقل في مؤسسات صناعة القرار.

كما كتب مختار مسرور في جريدة ٨ صبح مقالاً بعد فوز روحاني تحت عنوان «ما سيفعل روحاني؟». في هذا المقال يرى مسرور أنه على روحاني معالجة الإشكالات التي تعيق تطور العلاقات بين البلدين والتي تتمثل في:

- ❖ ممارسة إيران التمييز في حق اللاجئين الأفغان في إيران والسلوك العنصري الذي تنتهجه اتجاههم.
- ❖ استفادة النظام الإيراني من اللاجئين الأفغان في إيران كوسيلة للضغط السياسي على الحكومة الأفغانية.
- ❖ استضافة إيران لعدد من المرات وفود لممثلين سياسيين من حركة طالبان في الوقت الذي تنخرط في لعب دور تجاري واستثماري في أفغانستان.
- ❖ سعي إيران إلى إثارة الوضع المذهبي في أفغانستان عبر دعم القوى الأصولية ومحاولة زعزعة الاستقرار في المدن الكبرى الأفغانية.

يتجاوز تأثير انتصار حسن روحاني في الانتخابات في نظر المراقبين الأفغان إلى ما وراء السياسات الإيرانية ليمتد إلى تأثيرها على مستقبل الانتخابات الأفغانية القادمة التي ستديرها الحكومة الأفغانية المدعومة من قوات التحالف والقوى الغربية. حيث كتب حفيظ الله زكي في صحيفة روزنامة أفغانستان مقال باسم «أفغانستان والانتخابات في الدول المجاورة»، يرى حفيظ الله زكي أن لصعود نواز شريف رئيساً للوزراء في باكستان وحسن روحاني رئيساً للجمهورية تأثيراً هاماً على مستقبل أفغانستان، حيث تواجه أفغانستان عدداً من الإشكالات في التعامل مع هاتين الدولتين كالخلافات الحدودية للاجئين الأفغان، مستقبل العلاقات الأفغانية مع الولايات المتحدة واستمرار بقاء قوات التحالف في إطار

اتفاقية أمنية. من جهة أخرى لاقتراب هذه الدول من أفغانستان ثقافياً واقتصادياً، يمكن أن تشكل الانتخابات التي جرت فيها أنموذجاً تستفيد منه أفغانستان. لكن على خلاف الرؤية المعادية للسياسة الإيرانية اتجاه أفغانستان، يقول حفيظ الله زكي: «في الإحدى عشر سنة الماضية، على الرغم من العداء بين إيران والولايات المتحدة، فإن إيران نظمت علاقاتها مع الحكومة الأفغانية بشكل مختلف ولم تسمح لهذه العلاقة أن تتأثر بعدائها للولايات المتحدة، ولكنها لم تخفي قلقها من حضور القوات الأمريكية في أفغانستان، ودون شك سواء رضينا أم أبينا تعزز مثل هذه القضايا، التوتر بين البلدين».

وفي تقرير أعدته زينب محمد نُشر على موقع بي بي سي فارسي في الجزء الخاص بأفغانستان. يقول داود مراديان رئيس مؤسسة أفغانستان للدراسات الإستراتيجية: «نحن في أفغانستان نشهد حرباً ضروساً تديرها باكستان وحرب باردة تديرها طهران، فنحن محاصرين من كلا الطرفين». يرى مراديان أنه بوسع روحاني إيجاد آليات للتنسيق بين إيران وأفغانستان والولايات المتحدة حيث أن خطوة كهذه سيكون لها تأثير مباشر على العلاقات الإيرانية الأفغانية. أما فيما يخص تأثير ما يحدث في إيران على مستقبل العملية الديموقراطية في أفغانستان فيقول مراديان: «مع الانتباه إلى حداثة العملية الديموقراطية وعدم إيمان الأفغان بالطريق الديموقراطي بهذا القدر، فإنه يمكن للانتخابات الإيرانية أن تثبت أن الطريق الديموقراطي هو حل إيجابي لحل النزاعات والإشكالات السياسية. أما آصف آشنا المتحدث باسم حزب حق وعدالت فيقول أنه يأمل أن يتخذ الأفغان الانتخابات الإيرانية نموذجاً، لأن تصويت الأفغان في صناديق الاقتراع سيخرج أفغانستان من الأزمة».

نحو شركة مضاربة أميركية - إيرانية؟

راجح الخوري– الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

كمن لم يصدق قال باراك أوباما: «لقد تحدثت لتوي منذ قليل مع الرئيس الإيراني حسن روحاني، وإننا مستعدون لحل شامل مع إيران». بدا الأمر أشبه بتهافت من «الشيطان الأكبر» على شعار «المرونة البطولية»، الذي كان علي خامنئي قد أعلن عنه عشية سفر روحاني إلى الأمم المتحدة حاملا تفويضا كاملا، بما أوحى أن سياسة «الانفتاح» تحظى بمباركة من المرشد.

بعد عودة روحاني إلى طهران اشتعلت موجة من الانتقادات الموجهة إليه لأنه رد على الاتصال الهاتفي مع أوباما، فلم يكتفِ قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري بالقول، كان عليه ألا يرد على الاتصال كما امتنع عن اللقاء مع أوباما، بل أضاف: «إذا لاحظنا أخطاء لدى المسؤولين فإن القوات الثورية ستوجه التحذير الضروري!».

المثير للسخرية أن التعليقات الإيرانية على الاتصال الذي بدا مقدمة لكسر ٣٤ عاما من القطيعة والعداء، جاءت على شكل تقريع لأميركا، ليس من العسكريين الذين رأوا أنه «لا يمكن نسيان عدوان الولايات المتحدة عبر اتصال وابتسامة»، بل من وزير الخارجية محمد جواد ظريف الذي لم يتردد في القول لقناة «إيه بي سي» بعد الاتصال الهاتفي: «إن إيران مستعدة لمسامحة أميركا وإن كانت لا تستطيع أن تنسى عقودا من الارتياب بين الجانبين»!

المثير أكثر أنه رغم سبعة أعوام من المفاوضات العقيمة بين طهران ومجموعة ٥+١ حول المسألة النووية، والتي ثبت أنها كانت بمثابة مراوغات لكسب الوقت، بدت التعليقات في طهران، وكأنها تريد أن تشتري رفع العقوبات مقابل حفنة من الكلمات المخملية، ففي حين دعا ظريف إلى رفع فوري للعقوبات قال جعفري إن الرد على النية الطيبة التي أظهرتها إيران في الأمم المتحدة يجب أن يرفع العقوبات ويحرر الأصول الإيرانية وأن يقبل بالبرنامج النووي الإيراني ويوقف العدوان الأميركي!

واضح أن مركزية القرار الإيراني عند خامنئي، فإذا ابتسم روحاني لأميركا ولوّح للغرب بالمخمل فبأمر من خامنئي، وإذا عبس الحرس الثوري في وجه روحاني وهدده بإصلاح أخطائه فبرغبة من خامنئي، وهكذا ليس من الواضح إذا كان أوباما يتابع هذه «الأكروبات السياسية» المتلاحقة والمتناقضة التي شهدناها منذ قرر النظام الإيراني أن يضع القناع الباسم على وجهه المقطب، فهندس على ما كان واضحا عملية إيصال روحاني إلى الرئاسة، تلبية لحاجات تتصل بالتخفيف من ضغوط الداخل على الإيرانيين الذين لم تيبس الثورة الخضراء في عروقهم، وبتلبية ضرورات السعي لرفع العقوبات الخانقة التي تتهدد الوضع الاقتصادي.

كان مثيرا للسخرية أن يقول أوباما في خطابه أمام الجمعية العامة إنه لا يريد تغيير النظام في إيران ما دفع خامنئي إلى الرد عليه بالقول: «لسنا قلقين من أنكم تريدون أو لا تريدون تغيير النظام، يوم كنتم تعملون لتغييره لم تتمكنوا ولن يكون في وسعكم الآن»، كان هذا كافيا للتذكير بمعارضة ضرب سوريا، لكن الحسابات الأميركية لا تقف عند هذه الحدود، والرغبة في الانفتاح على إيران لم تبدأ مع الرسائل بين روحاني وأوباما، الذي سبق أن مد يده إلى طهران بعد أشهر من ولايته الأولى عام ٢٠٠٨، والذي كرر الأمر في خطاب الولاية الثانية.

ومن الواضح أن العاجز عن ضرب نظام الأسد ليس في حاجة الآن إلى الحديث عن استعمال القوة مع النظام الإيراني، ثم إن سقوط المشروع الأميركي - الإخواني في المنطقة، أي انهيار الرهان على «شرق أوسط إخواني»، وبروز كتلة عربية قوية تجمع بين مصر والسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، ربما فتح شهية الانفتاح الأميركي على إيران، إلى درجة أن أوباما لم يتردد في ملاحقة روحاني هاتفيا وهو في طريقه إلى المطار رغم أنه كان قد تملص من مقابلته، ورغم أن طهران المتهافتة للانفتاح على أميركا كانت تحذر من مصافحة يد «المجرم أوباما»، الذي يبدو أنه يستعجل كسب إيران كشريك مضارب في المنطقة، بما يساعد على ترسيخ مطواعية دائمة عند دول الإقليم التي تحتاج إلى ضمانات أميركية في مواجهة سياسات التدخل والتخريب الإيراني المتزايدة من أفغانستان إلى لبنان عبر دول الخليج!

كل ما قاله أوباما قبل يومين، إنه سيكون يقظا في المباحثات المقبلة مع إيران بشأن البرنامج النووي، محذرا من أن الخيار العسكري لا يزال مطروحا، ورغم أن هذا الكلام قد يشكل مسخرة أمام الكونغرس، لم يتردد ظريف في انتقاد «تقلبات أوباما وتنمره وقلة احترامه»، وكأنه قادر على مجاراة «الأكروبات السياسية» الإيرانية!

يا فخامة الرئيس عمر البشير:
النفوذ الرافضي في السودان إلى أين؟

د. عاصم القريوتي

كشف متحدث باسم الجيش السوداني الأربعاء الماضي أن سفينتين حربيتين إيرانيتين سترسوان في السودان، في ثالث زيارة من نوعها في أقل من عام، مما يبرز العلاقات الوثيقة بين البلدين.

وأوضح المتحدث أن السفينتين سترسوان في ميناء بورسودان، في وقت لاحق من اليوم نفسه، للتزود بالمياه والغذاء. ولا يعد هذا الرسو زيارة رسمية.

وكانت وكالة «فارس» الإيرانية للأنباء قالت إن زيارة السفينتين جاءت «لتعزيز العلاقات مع الخرطوم».

ويقول المحللون: إن السودان شريك واضح لإيران في تعزيز نفوذها في المنطقة، بينما تتطلع الخرطوم لمساعدات تجارية وعسكرية.

وقد سبق أن حاول قالت الرئيس السوداني عمر البشير الذهاب إلى إيران في زيارة رسمية للمشاركة في مراسم تنصيب الرئيس الجديد حسن روحاني أمام مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) الإيراني فلم يتيسر ذلك.

ودعوى الحكومة السودانية إن علاقاتها بإيران ليست موجهة ضد أحد خاصة دول الخليج العربي وأنها تطمح إلى علاقات إستراتيجية مع إيران! لموقف عجيب غريب، لما عُرِف عن الرافضة إضافة للفساد في المعتقد الكيد للسنة وأهلها، وما أحداث العراق وسوريا ولبنان والبحرين وغيرها ببعيد، ولا تزال دماء أهل السنة في عدد منها تنزف وتستصرخ ولا مُجيب.

ثم لا يهونن أحد من الأمر بأنه اقتصادي فقط فالقوم لهم مصالح كبرى في إفساد وإضلال أهل السنة، وانظر ما قاله أخي وصديقي معالي الدكتور بسام العموش السفير الأسبق للأردن في إيران في لقاء عن الشيعة:

http://www.youtube.com/watch?v=XQryq-B2x_4...

وزد على ذلك انتشار الدعوة إلى التشيع بقوة في السودان في السنوات الماضية مما يؤكد خطط القوم ومكرهم.

وإن الاستمرار في ولاء الرافضة وفتح مجال الدعوة لهم في أي دولة من الخُذلان للسنة وأهلها وما هو من الغفلة والغباء ببعيد!

ولا أشك والله أن الاستمرار في التعاون مع القوم إضعاف لولاء الحكم في أي بلد، وهو من المؤشرات الكبرى لسقوط الحكم فيه، والتاريخ القريب شاهد على ذلك، فهل من معتبر؟

وكم أحسنت الحكومة الماليزية عندما بدأ الرافضة بنشاط لهم فيها بالتأكيد على قرار لهم بأن مذهب أهل السنة والجماعة فقط هو المتبع وأنّ أية تعاليم أو مذهب آخر غير مذاهب أهل السنة والجماعة وتعاليمهم تُعْتبرُ مخالفة للوائح الشرعية والقانون الإسلامي في ماليزيا، وعلى إثر هذا، فإنّه يُمْنَعُ بتاتاً في ماليزيا نشر مذاهب وتعاليم خارج عن منهج أهل السنة والجماعة، وصادروا كتبا عديدة معدة للتوزيع هناك.

فعلى دول الإسلام إن كانت غيورة على السنة وأهلها أن تحذو حذوها وتحكم شرع الله فعلا إن أرادت الحفاظ على كيانها وحكمها.

فهل من معتبر؟

بعد إعلان كيري.. قد لا يكون وقت لعقد اجتماع خليجي طارئ

نجاة المضحكي- جريدة الوطن البحرينية ٢٠١٣/١٠/٣

يقول وزير الخارجية الأمريكية جون كيري: «إن برنامج إيران النووي سلمي ويمكن لنا جميعاً أن نرى ذلك.. العالم كله يرى ذلك.. العلاقة مع إيران يمكن أن تتغير بشكل كبير للأفضل، ويمكن أن تتغير بسرعة».

هل بعد هذا التصريح مازالت تفكر دول الخليج بالتقارب مع إيران وأمريكا والاتحاد الأوروبي، أو أنها على أمل قد ترضى عنها أمريكا أو تكون لها علاقة طيبة مع إيران؟ هذا الإعلان يعني أنه قد بدأ التنفيذ؛ تنفيذ الشرق الأوسط الجديد الذي لن تستطيع أمريكا تنفيذه دون إيران، فهي الحليف الحقيقي، أما دول الخليج العربي لا يتعدى التحالف بينها وبين الولايات المتحدة حبراً على الورق. وها هي خارطة تقسيم الدول العربية والمملكة السعودية - تحديداً- ليست سراً ولا في طي الكتمان؛ بل أصبحت خريطة قد تعلق خلال سنوات قليلة على جدران المدارس وستتضمنها المناهج الدراسية، وذلك عندما تتساهل دول الخليج بنوايا التقسيم التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وتتباطأ في اتخاذ القرارات الحاسمة التي تحدد علاقتها مع الدول التي مازالت تنظر إليها بأنها دول صديقة وحليفة؛ فتحلم وتتصور بالتقارب مرة مع إيران ومرة مع أمريكا وبريطانيا.

الدول الخليجية تنضوي تحت مظلة مجلس التعاون الخليجي، لكن للأسف لكل دولة استراتيجية لا تتلاقى إلا في الحروب، أو في الظروف السياسية الخطيرة مثل المؤامرة الانقلابية التي حدثت في البحرين، وبعدها تعود كل دولة إلى ما كانت عليه، مكتفية بالشجب والإدانة، واجتماعات دورية وشهرية، لم تتمخض حتى اليوم بقرار حاسم يحدد موقف الدول الخليجية أمام المجتمع الدولي، الذي لاشك أنه بدأ خطة تنفيذ الشرق الأوسط الجديد، وهذه بوادره قد بانت وظهرت، من تبديل الفيفا لاسم الخليج العربي إلى الخليج الفارسي، واتفاق أمريكا مع إيران ضد البحرين، متجاهلين مكانة المملكة العربية السعودية وهي مركز الشرق الأوسط، ومركز الوطن العربي ورأس الخليج، وهذا كله بسبب عدم حزم دول الخليج وتذبذب قراراتها وضبابية مواقفها في القضايا الخطيرة، وأهمها قضية الإرهاب الصفوي في البحرين والمدعوم من أمريكا وإيران، حيث مازالت هذه الدول تطلب الود والتقارب رغم إعلان أمريكا وإيران موقفهما تجاه البحرين، وهو موقف خطير لا يهدد البحرين بل يهدد المملكة العربية السعودية ومعها باقي دول الخليج العربي التي يظن بعضها بأنها ستكون بعيدة عن هذا الخطر، وفي الحقيقة أن الخطر قد يطولها قبل البحرين.

إن دول الخليج متفرقة لا تساوي شيئاً في حسابات أمريكا وإيران، حيث إن أمريكا تعرف المقدرات العسكرية لكل دولة على حدة، فهي تستطيع شل هذه المقدرات بما تملكه من آلة عسكرية ليس في أمريكا بل متمركزة في بحر الخليج، فها هي أساطيلها وطياراتها، وها هي قواعدها وجيوشها، ونضيف إلى ذلك استعدادات إيران والعراق وحزب الله وسوريا، فكلها توحدت واتفقت على تقسيم دول الخليج العربي، ونشرت خريطة هذا التقسيم الذي اطلعت عليه دول الخليج، ثم عادت كعادتها بين اجتماعات دورية وشهرية دون ناتج ولا فارق ولا تقدم منذ بدء تأسيس مجلس التعاون الخليجي حتى هذه الساعة.

وها هي دول الخليج تشاهد كيف اتحدت الدول الأوروبية، وكيف أن هذا الاتحاد يتوافق ويتناسق مع أمريكا، واليوم يتفق الاتحاد الأوروبي وأمريكا مع إيران، وهي الدولة التي فرض عليها قبل ذلك حصار اقتصادي ونزاع بشأن

ملفهـا النـووي، إلا أن تلاقـي المـصالح جمعهـم في خنـدق واحـد مقابـل دول خليجيـة مـشغولة بـبرامج رياضيـة وسياسـات لا ترتكـز علـى اسـتراتيجية، في الوقت الـذي أمريكـا وإيـران همـا كـل شـيء فـلا يهمهمـا بـرامج ولا استعراضـات ولا أولمبيـات ولا اتحـادات كروية، بـل تفرغـا كيـف يـديران الحـرب القادمـة بأقـل الخـسائر، وذلـك حـين حركـت إيـران خلاياها النائمـة اليـوم في البحـرين، وهـا هـي تتحـرك في الـسعودية والكويـت، وبعـدها سـتتحرك في الإمـارات وقطـر وعمـان، وهـي تحركـات محـسوبة، حيـث إنـه لا يمكـن أن تتحـرك الخلايـا النائمـة في هـذه الـدول مـرة واحـدة لإعطـاء بعـض مـن هـذه الـدول الأمـان إلى أن يحـين دورهـا، هـذه الخلايـا اليـوم الـتي تـدعمها أمريكـا وإيـران والاتحـاد الأوروبـي يـدعمونها ماديـاً وإعلاميـاً وسياسـياً، بالمقابـل دول الخلـيج مازالـت تـدور حـول نفـسها وتعـود مـن حيـث بـدأت، دون قرار ولا تقرير ولا تحديد مصير.

مع الأسـف نحـن أمـة الإسـلام الـتي وجههـا الله سـبحانه وتعـالى لكيفيـة مواجهـة أعـدائها وكيـف تأخـذ الحيطـة مـنهم حتـى في الـسلم، إلا أن هـذا التوجيـه الإلهـي لم تعتمـده الـسياسة العـسكرية الخليجيـة، الـتي كانـت يجـب أن تكـون المبـدأ الـذي أسـس عليـه مجلـس التعـاون الخليجـي (وأعـدوا لهـم مـا اسـتطعتم مـن قـوةٍ ومـن ربـاط الخيـل ترهبـون بـه عـدو الله وعـدوكم وآخـرين مـن دونهـم لا تعلمـونهم الله يعلمهـم)، فالاتحـاد الخليجـي لـيس توحيـد عملـة ولا جـوازات ولا جـسور ولا سـكك حديديـة، إنمـا اتحـاد القـوة العـسكرية في مواجهـة العـدو الـذي كـشف عـن وجهـه اليـوم وأعلـن عـن برنامجـه الحربـي، ومـا التوافـق الأمريكـي الإيرانـي وإعـلان كـيري أن برنـامج إيـران النـووي سـلمي ويمكـن للجميـع مـشاهدته، إلا دق لطبـول الحـرب، الـذي إن تجاهلـت دقاتـه دول الخلـيج، سـوف تتعلـق خريطـة الـشرق الأوسـط الجديـد لـيس بعـد سـنوات، إنمـا قـد يكـون في ٢٠١٤، فالخلايـا النائمـة تحركـت، والحـرس الثـوري علـى حـدود الكويـت والـسعودية علـى أتم الاسـتعداد، وسـيكون بغتـة لا تـترك حتـى سـاعة يمكـن أن تتـشاور فيهـا دول الخلـيج لكـي تحـدد موعـد انعقـاد قمتهـا أو اجتمـاع طـارئ، لأن الجـسور قـد قـصفت والمطـارات قـد عطلـت والمليـشيات سـيطرت علـى المؤسـسات الحيويـة في الـدول الخليجيـة مـن كهربـاء ومستشفيـات واتصـالات.

روسيا: منع أفضل ترجمة للقرآن الكريم

د. أحمد عبد الله -مجلة المجتمع ٢٠١٣/٩/٢١

في حادثـة فريـدة مـن نوعهـا، وأمـر لم يكـن محـسوباً مـن أحـد، بـل لم يكـن يتـصور أحـد حدوثـه وأن تـصل «الحماقـة» بمـن يـسمون أنفـسهم «بـالخبراء» أن تطـال أيـديهم القـرآن الكـريم، فيـتم وضـع أحـد أفـضل التراجـم القرآنيـة لآيـات القـرآن الكـريم باللغـة الروسـية ضـمن الكتـب الداعيـة للتطـرف، والـتي يجـب منـع إصـدارها، فقـد أعلنـت محكمـة مدينـة «نوفاروسيـسك» بمنطقـة «أكتيابرسـك» موافقتهـا علـى طلـب النيابـة العامـة للنقـل في المدينـة بتـاريخ ١٧ سـبتمبر ٢٠١٣م وإصـدار حكمهـا باعتبـار ترجمـة الفيلـسوف الأذربيجـاني الأصـل «الميركوليبـف» ترجمـة معـاني القـرآن الكـريم للغـة الروسـية»، والـذي قـام مجمـع الملـك فهـد بإصـدارها، كتابـاً متطرفـاً. جـاء ذلـك بدايـة عـن طريـق روايـة بوليـسية بامتيـاز، تقـول الروايـة أن طـرداً بريـدياً قـادم مـن المملكـة العربيـة الـسعودية تم حجـزه ولفـت انتبـاه الـسلطات الأمنيـة في المدينـة، فقامـت النيابـة العامـة بمحاولـة لتوجيـه التهمـة لـصاحب الطـرد بأنـه ينـشر مـواداً تـدعو إلى التحـريض علـى الكراهيـة أوالعـداوة والإهانـة لكرامـة الإنـسان بموجـب الفقـرة ١ مـن المـادة ٢٨٢ مـن قـانون العقوبـات، لكـن الأمـر لم يكـن بالـسهولة القانونيـة تحقيقـه فقـام علـى إثـر ذلـك مكتـب المـدعي العـام للنقـل بإرسـال ترجمـة القـرآن الكـريم لفحـصها عـن طريـق «الخـبراء» الجنـائيين، بـالطبع النتيجـة لم

تكن مستغربة، فليست هذه هي المرة الأولى التي ينظر فيها مثل هؤلاء الخبراء في كتب دينية بحتة يصنفونها فيما بعد بالكتب الداعية إلى الإرهاب والتطرف. قرار غير قانوني: لجنة «الخبراء» التابعة لمركز «الخبراء الجنائيين بوزارة الداخلية الروسية» بمحافظة «كراسندار» أصدرت تقريراً مبرراً لقرارها جاء فيه: «إن الكتاب المذكور احتوى تصريحات تتعلق بتقييم سلبي تجاه أشخاص أومجموعة من الأشخاص على أسس مرتبطة بدين معين (على وجه الخصوص تجاه غير المسلمين)، كما يحمل في طياته كلمات تتحدث عن أفضلية شخص أو مجموعة من الناس أمام أشخاص آخرين على أساس العلاقة بالدين، وعلى وجه الخصوص، أفضلية المسلمين على غير المسلمين، كما يحمل عبارات تتضمن تقييماً إيجابياً لعمل عدائي من مجموعة من الناس ضد مجموعة أخرى مجتمعة على أساس الدين، وعلى وجه الخصوص المسلمين تجاه غير المسلمين، بالإضافة إلى عبارات ذات طابع تحفيزي، في فهم الدلالات الداعية إلى أعمال عدائية وعنيفة من مجموعة من الناس ضد مجموعة أخرى تجتمع على أساس الدين، وعلى وجه الخصوص المسلمين تجاه غير المسلمين». قرار المحكمة بالرغم من أنه غير قانوني ويبدو أنه جاهل بخفايا الأمور المتعلقة بالأديان وعلى وجه الخصوص بالدين الإسلامي، لكنه من ناحية أخرى استفزازي ولا نتصور أنه قد صدر عفوياً، مع علم من أصدره أنه يرسل رسائل خطيرة للمجتمع المسلم عندما يمس أكثر الكتب قدسية لديهم، ومدى تأثير ذلك على السلم الاجتماعي في البلاد. انتقادات للقرار: ولعل ذلك ما دعا العديد من الشخصيات الدينية والاجتماعية إلى الانتقاد الشديد لقرار محكمة «نوفاراسيسك» فقد صرح الصحفي المعروف والناشط السياسي والاجتماعي «ماكسيم شيفشينكو» فقال لوكالة إسلام نيوز: «لقد وصل النظام القضائي الروسي إلى الجنون ووصل إلى الحدود القصوى منه» وأضاف «شيفشينكو» إن «كولييف» شخص علماني وليس متطرفاً، فأنا أعرفه شخصياً، وأتذكر كيف أنه كان يقنعني بأن أذربيجان دولة علمانية، وأنه ضد أي حزب إسلامي، وليس مع فكرة الحركات الإسلامية، ولأجل ذلك أقول بأن هذا الجنون في النظام القضائي يدفعني أن أطالب بسبب هذا الهذيان الذي يقوله القاضي أن يتم إحالته لتلقي العلاج، أنا أعتقد أن هذا القاضي إرهابي، ولأنه بحظره للقرآن قد خدم قضية دوكو عمروف (قائد المجموعات المسلحة في الشيشان)، أكثر من جميع المواقع الدعائية مجتمعة. ويتابع الصحفي المشهور: «إن القاضي أثبت أن ما يسمى بالعدالة الروسية تكره القرآن، وتكره المسلمين، وأنها على استعداد لحظر الكتاب المقدس لدى للمسلمين في ترجمته الروسية، اعتقد أنه قرار مجنون يمكن أن يكون له عواقب وخيمة جداً و في صالح العناصر الأكثر راديكالية، إنني أطلب من الرئيس الروسي التحقيق في الوضع المتعلق بحظر ترجمة القرآن الكريم». مشكلة النظام القضائي: من جهته أشار محمد صلاح الدينوف رئيس المجلس الإسلامي الروسي إلى أن هذا النوع من الأحكام موجه بطريقة أو بأخرى « لتفرقة المجتمع ورفع الضغط الاجتماعي بين المسلمين وغير المسلمين، كما أنه محاولة لدفع الشباب المسلم نحو الراديكالية على أساس أن الدولة «كافرة» ولا ترعى حرمة للمقدسات الاسلامية»، ويتابع صلاح الدينوف أن المشكلة الأساسية تكمن في النظام القضائي بأكمله؛ « ففي بلادنا النظام القضائي فريد من نوعه، فهو ليس جهازاً منفصلاً عن السياسة، بل شبه مشتق من السلطة التنفيذية، في الآونة الأخيرة أصبح هذا النوع من الأحكام التي تمنع الكتب الإسلامية شائعاً في الواقع الروسي الممل. وفي هذا الشأن كانت جمهورية «باشكورتوستان ومنطقة أورينبورغ» الأكثر ظهوراً. لقد تم اختيار هذه المنطقتين من حوض «الفولغا والأورال» من قبل المشرفين على السياسة الداخلية، كمناطق يتم

فيها استصدار الأحكام لحظر الكتب الإسلامية، بل تحت هذه «المنوعات» أقحمت كتب خالية تماماً من السياق السياسي؛ مثل كتب علماء الصوفية حول الروحانيات والرقي بالنفس البشرية، من ذلك كتاب الأدعية «حصن المسلم». ويضيف صلاح الدينوف: «لدي شعور أن منظري هذه العملية يسترشدون بمبدأ: «كلما كان المنع أكبر كلما كان أفضل». إن كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، بداهة، هو مادة « متطرفة». في حين أنه من الواضح أن المسلم وتحت أي سبب من الأسباب لن يتخلى عن القرآن الكريم، كما أن المسيحي لن يتخلى عن كتابه المقدس الإنجيل، إن الآيات القرآنية لا يتم تخزينها فقط في بيوتنا، ولكنها تحتل مكانها المرموق في قلوبنا!» ولعله من المفيد لهذه المجموعة من المغامرين في النيابة العامة للنقل بالمدينة البحرية «نوفاراسيسك» أن نذكرهم بأن يتوجهوا للاهتمام بالمشاكل التي لا تحصى في الميناء الكبير الذي يشرفون عليه، فالمدينة الروسية هي بوابة قنوات التهريب لكل البضائع والمخدرات، إضافة إلى أنها البوابة الرئيسة لتخريج كل ما هو غال الثمن ومفيد في روسيا، كما أن عملهم يتطلب الالتزام الحرفي بالقانون وعدم فتح الأغراض الشخصية للأفراد بمجرد «الشك» في أنها تحمل مادة ذات طابع «راديكالي»، كما أنهم مطالبون قانوناً بالابتعاد عن الدوافع الشخصية التي دفعتهم للقيام بهذه التصرفات الخطيرة على السلم الاجتماعي. وحتى يفهموا جرم ما قاموا به من تصرفات طائشة يجب أن يتذكروا كيف كانت ردة فعل الشارع المسلم في أنحاء العالم كله، على مثل هذه التصرفات التي مست أشرف المقدسات، وعليه فنحن نثمن على ما طالب به الكاتب والصحفي «ماكسيم شيفشينكو» من الرئيس الروسي التدخل فوراً ووضع حد لمثل هذه التصرفات الغير مسؤولة.

فتوى عجيبة: منع الروس من اعتناق الإسلام!

د. أحمد عبد الله- مجلة المجتمع ٢٠١٣/٩/٢١

يقولون: عش طويلاً تسمع العجب! في كل يوم نرى مفتياً، هنا أو هناك؛ يسمع الناس منه العجب العجاب. لم يعد الأمر يقتصر على فتاوى علماء السلطة في الدول العربية، الذين «أفتوا» بسفك دماء المعارضين للانقلابيين بل وصل الأمر إلى زملائهم في روسيا. فقد تخطى «حيدر حافظوف» رئيس الإدارة الدينية الإقليمية في جمهورية يامالا» الفدرالية الواقعة غرب «سيبيريا» جميع زملائه من المفتين العرب وخرج على الأمة يوم (١٠سبتمبر/أيلول٢٠١٣م) بفتوى بمنع الروس المسيحيين السلاف من اعتناق الإسلام للحفاظ على السلم الاجتماعي بين أبناء الوطن الواحد. ويعتقد «حافظوف» إن هذا سيمنع الاحتكاك بين القوميات ويخفض حدة التوتر من اعتناق أبناء القومية الروسية الدين الإسلامي ، مما يعني اختلاط أبناء القوميات المسلمة والقومية الروسية مما سيزيد من حدة التوتر بين أبناء الوطن الواحد. كلمات « المفتي» جاءت لدى حضوره جلسة رسمية للمجلس الاستشاري لشؤون القوميات والاعراق التابع لحكومة جمهورية «يامالا» حول موضوع الإرهاب و التطرف. الجلسة ترأسها نائب حاكم جمهورية «يامالا أليكسي بولايف»، وحضر فيها ممثل عن الكنيسة الأورثوذكسية وممثل عن الأقليات القومية وعدد من ممثلي السلطات المحلية في المناطق. وقد جاء في الكلمة التي ألقاها حافظوف: «إن الكثيرين يعتنقون الإسلام لما يرون فيه من عناية بالأسرة، وإن الإسلام يولي اهتماماً كبيراً بالأسرة كعنصر مهم في المجتمع، كما إنهم يرون في العائلات القوقازية روابط رحم قوية. هذا مع ما نلحظه في الوقت الحاضر في المجتمع من حنين إلى مفهوم الأسرة بمفهومها التقليدي وذات العدد الكبير وترابطها القوي، و المفاهيم الحقيقية للأسرة عامة» ويضيف «علامة زمانه والرجل الفهامة» وهو يتحدث عن عدم رضاه عن أولئك الذين تركوا دين الآباء والأجداد فيقول:» كيف يمكن أن نرضى بأن يكون الرجل اليوم في دين وغداً يصبح في دين آخر؟ » بالفعل إن الأمر غير مقبول

فكيف يصبح الرجل كافراً ويمسي مؤمناً؟ وكيف يعقل أن يمسي الرجل مؤمناً مسيحياً ويصبح «كافراً» مسلماً بدين الآباء والأجداد، إن هذا لشيء عجاب! هكذا يعتقد مفتي «يامالا» وعلى هذا وافقه وسانده في رأيه ممثل الكنيسة الاورثوذكسية في منطقة ساليخارد الأسقف «نيكولاي». وتجدر الإشارة هنا إلى أن مثل هذا النوع من الفتاوى ليست الأولى من نوعها فقد سبق وأن أفتى حافظوف بعدم جواز اعتناق الإسلام لمن لم يبلغوا سن الرشد إلا بموافقة من أهلهم. كما أفتى للسلطة المحلية الحاكمة بوقف بناء المساجد وإعطاء التراخيص في الجمهورية التي يشرف عليها كممثل للمسلمين فيها على أساس أن لاحاجة للمسلمين فيها في الوقت الحاضر! وللأسف الشديد لم يجد تصريح « المفتي» ردة فعل قوية من القائمين على شؤون الإسلام والمسلمين في المدن الروسية المختلفة، وحظيت تصريحاته بنوع من الاستهجان من قبل الشباب المسلم عبر الشبكة العنكبوتية وفي صفحات التواصل الاجتماعي؛ حيث صب الكثير من الشباب جام غضبهم عليه ونعتوه بشتى أنواع النعوت، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قمصان وأحذية رياضية
تمجّد إسرائيل وتسيء للإسلام

سمية سعادة – مجلة المجتمع ٢٠١٣/١٠/٥

شعارات ورموز تمجّد إسرائيل والنصرانية، وألفاظ تسيء للإسلام يحملها بعض الشباب على قمصانهم وأحذيتهم ويتجولون بها بين الناس، ويدخلون بها إلى المساجد، ويقفون بها أمام الله، وهم لا يعرفون معناها، ولا يدركون مغزاها، تلك هي الظاهرة التي تنساب في الجزائر بهدوء في غياب مصالح الرقابة التي تمرّ عليها هذه السلع، دون أن تتفحصها بدقة، وفي غياب الثقافة والوعي لدى الشباب، مما يجعله يضع الشمعدان اليهودي، والصليب المسيحي في القلب، بينما يمرّغ لفظ الجلالة في التراب بحذاء لم ينتبه إلى ما يحمله في الأسفل، وهو الأمر الذي تعمد إليه بعض المصانع الغربية الحاقدة على الإسلام. شعارات جيش الصهاينة وما دعانا للتحقيق في هذا الموضوع هو أن أحد المواطنين الجزائريين وضع بين أيدينا قميصاً أخضر عسكرياً صنع في الهندوراس كتب عليه بالإنجليزية وباللون الأصفر «قوات الدفاع الإسرائيلية»، بينما يعلو الكتابة شعار القوات الإسرائيلية المتوج بحروف عبرية منفصلة، هذا المواطن قام بتنبيه أخاه الذي اشترى هذا القميص من أحد محلات الجزائر العاصمة إلى خطورة الشعار الذي يحمله، والذي يروّج للجيش الإسرائيلي الذي لطالما غمس يديه القذرتين في دماء الفلسطينيين. مواطن آخر أخبرنا أنه قام بشراء قميص يحمل الشمعدان اليهودي دون أن ينتبه إلى أن الشمعدان هو أحد رموز الدولة العبرية المجرمة. فيما أفادنا الأستاذ المحامي «علي ن» أن قمصاناً تحمل شعارات الماسونية وتشيد بالجيش الإسرائيلي باتت منتشرة في العديد من المحافظات الجزائرية. ومن الألبسة المنتشرة في محلات بيع الألبسة الرجالية بالجزائر قمصاناً تحمل عبارة «غاب» وهي كلمة تختصر جملة «أنا مثلي وأنا فخور بذلك». وللتشعب أكثر في هذا الموضوع، تجوّلت «المجتمع» ببعض محلات بيع الألبسة الرجالية بالجزائر، حيث اتضح لنا أن هذه الظاهرة يتحمّل وزرها التجار الذين يفتقرون إلى الثقافة والوعي الذي يجعلهم قادرين على التمييز بين ما يناسب مجتمعنا المسلم وما لا يناسبه، وكذا مصالح الرقابة التي تتقاعس في تأدية دورها بالشكل الصحيح. مراعاة الشريعة الإسلامية قادتنا جولتنا الصحفية إلى أحد محلات «فابيان» التي تستورد سلعها من تركيا، حيث يقول صاحبها (السيد عبد الله مرزوقي): إن تاجر الملابس الرجالية ينبغي أن يكون مثقفاً قبل أن يكون تاجراً، بحيث يستطيع أن يدرك معاني الشعارات التي تحملها الألبسة ويفهم معاني الألفاظ. وبالنسبة لمحل «فابيان» يقول (عبد الله): «إنه يراعي قيم الشريعة الإسلامية، بحيث لا يعرض سلعاً تسيء للإسلام سواء من حيث الشعارات والعبارات المكتوبة، أو من حيث الألبسة التي لا تجوز بها الصلاة على غرار السروال القصير ويضيف: «نحن

لا نختار سلعتنا على أساس الجودة وحسب، وإنما على أساس قيم الشريعة الإسلامية لأننا مسلمون». غياب الوعي والثقافة اتجهنا إلى محل آخر قال صاحبه (السيد عيدي خليل) الذي أمضى ٢٥ سنة في تجارة الملابس الرجالية: إنه لطالما صادفته في عمله الذي يقوده إلى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا ألبسة رجالية تحمل شعارات فيها إساءة بالغة لله ورسوله ويخص (خليل) يهود مارسليا وباريس بالذكر، حيث يقول إنهم يقفون وراء هذه الألبسة المسيئة للإسلام، ناهيك عن الشعارات التي تروج للنازية والعنصرية والمسيحية والصهيونية، وإذا لم يكن التاجر على قدر من الثقافة والوعي، فإنه ولاشك سيتورط في إدخال هذه الألبسة إلى الجزائر. وأرجع محدثنا انتشار بعض القمصان التي تحمل شعارات منافية للإسلام إلى تحول فئة من الناس منها من لا علاقة لهم بهذا المجال إلى تجار ملابس رجالية، معتقدين أن الأمر لا يحتاج إلا إلى النشاط، بينما هم في حاجة إلى الخبرة في التعامل مع هذه السلع التي تدس السم في العسل بلغات وشعارات يعجزون عن فهمها لأنهم يفتقرون إلى الثقافة. ونفس الأمر يمكننا أن نقوله عن الشباب الذين يشترون هذه السلع على أساس الذوق دون أن ينتبهوا إلى ما تحمله من إساءات. غياب الرقابة (عادل هندي) وهو صاحب محل لبيع الألبسة الرجالية بالجزائر أكد أن محله يمتنع عن بيع قمصان فريق برشلونة الإسباني لأنه يحمل الصليب، بينما يعرض قمصاناً لا تحمل أي شعارات أو ألفاظ، لأن معظم الشباب أصبح يميل إلى القمصان البسيطة، نفس الرأي وجدناه لدى (فريد قلعي) الذي يقول: إن محله يتماشى مع ما هو مطلوب في السوق، وهي الأقمصة البسيطة في لونها وشكلها، ولكن هذا لا يمنع من القول إنه يختار بضاعته بدقة؛ لأنه أحياناً يتم التحايل على التجار المسلمين بدس بضاعة تسيء للإسلام على غرار أحذية رياضية اكتشف أنها تحمل اسم الجلالة في أسفلها، مما جعله يعيدها إلى أصحابها، كما عرض علينا فريد نعالاً جلدية تحمل الصليب لم ينتبه إليها إلا بعد مدة من عرضها في المحل. ويرد محدثنا وصول هذه الألبسة المسيئة للإسلام إلى محلاتنا هي بسبب تقاعس أجهزة الرقابة التي لا تقوم بتفحص السلع بشكل دقيق. وقد أضحى الأمر مثار اهتمام من قبل الكثيرين ومنهم العلماء والدعاة، واليوم في الجزائر لا يكف أئمة المساجد عن إطلاق التحذيرات من ارتداء الألبسة التي تحمل شعارات تسيء للإسلام، وقد أفتى مؤخراً إمام بأحد المساجد الجزائرية بحرمة ارتداء قميص فريق برشلونة الإسباني لأنه يحمل الصليب، ومع ذلك لا يزال الكثير من الشباب يقبل على شراء هذه القمصان لأنها تمثّل له الحضارة الغربية المفتون بها، في ظل غياب البديل الذي يحمي الشباب الجزائري والمسلم من كل وافد يرسم له طريقاً نحو الانحلال والانحراف والتنكر لهويته.

(❖) أكاديمية متخصصة في القضايا الدعوية والتربوية

ماذا يُراد بأهل السنّة في الكويت!

مدونة عمر خليفة راشد ٢٠١٣/٩/٢٦

ماذا يجري في الكويت الحبيبة ؟!

قبل أيام، افتُعلت ضجة إعلامية هناك بسبب زيارة الشيخ يوسف القرضاوي، حيث تطاولت بعض الأجهزة الإعلامية المشبوهة، مع صمت أجهزة الدولة، على مقام هذا الشيخ الفاضل بطريقة هي غاية في سوء الأدب وقلة العقل. وقبله بأيام، اضطر الشيخ عدنان العرعور، وهو صاحب الجهود الطيبة في التصدي للصفوية، إلى مغادرة الكويت سريعا بعد أن شنت ضده حملة إعلامية مشابهة.

صحيفة (السياسة) المشبوهة، التي يملكها الإعلامي المشبوه (أحمد الجار الله)، كان لها نصيب الأسد في هذه الحملات. وقد نقلت الجريدة أيضا في عددها بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م خبرا مثيرا عن «حملة لتطهير المناصب القيادية من الإخوان». وقالت الصحيفة أن هذا من «حق الدولة

في حماية أمنها القومي والتصدي مبكرا لحالات ازدواج الولاء خصوصا في ظل شكوك كثيرة بأن الإخوان أصلا لا يؤمنون بفكرة الدولة الوطنية ولا بحدودها وسيادتها، الأمر الذي رأت دوائر صناعة القرار في الكويت ضرورة التحسب له، وعلى اعتبار أن الوقاية خير من العلاج والعاقل من اتعظ بغيره» !

ونقول: هل الإخوان هم مَن يتصفون بـ (ازدواج الولاء) حقا، ثم ما هذه الصحوة المفاجئة في أجهزة الدولة لحماية أمنها القومي، والدولة بأكملها تعشش فيها أجهزة المخابرات الإيرانية، ويجري الإعلان عن اكتشاف بعضها من حين لآخر !

تأملوا جيدا في هذا الخبر الذي نشرته نفس الصحيفة (السياسة) بتاريخ ٥ مايو ٢٠١٠م عن خلية تجسس إيرانية:

«علمت (السياسة) أن المتهمين بانتمائهم إلى الخلية اعترفوا خلال التحقيقات التي أجريت معهم بوجود علاقة مباشرة لهم مع ضابط الارتباط العسكري في السفارة الإيرانية لدى الكويت، وان الأخير كان الممول والعقل المدبر والمنسق لتحركاتهم. وأكدت المصادر أن عدد المتهمين الموقوفين بلغ سبعة أشخاص أحدهم كويتي ويعمل مدرباً عسكرياً في وزارة الدفاع بالإضافة إلى شخص بحريني وثالث سوري ورابع (بدون) يحمل جواز سفر جمهورية الدومينيكان وخامس (بدون) أيضا بالإضافة إلى إيرانييْن اثنين، وكان هؤلاء يرتبطون ببعضهم من خلال ضابط الارتباط العسكري في السفارة الإيرانية حيث بدأ التعاون بينهم قبل نحو تسعة أشهر..».

من الذي يشكل خطرا على أمن الكويت واستقلالها يا أحمد الجار الله ؟

نقلت (السياسة) خبرا آخر بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠١٢م، عن تهديدات إيران باجتياح الكويت، وقالت:

«خرجت إيران من دائرة «التلميح والمواربة»، لتوجه تهديدا مباشرا بالتدخل عسكريا في الكويت بحجة حماية الشيعة في حال حدوث أي تدهور أمني في البلاد، مؤكدة أن فيلق بدر وفيلق القدس التابعين للحرس الثوري موجودان بالقرب من الحدود العراقية - الكويتية ولديهما من الاستعداد العسكري ما يكفي للتدخل خلال ساعات إلى مواقع متقدمة في الكويت والدول المجاورة بذريعة حماية أهل البيت في المنطقة».

أبعد كل هذا، تشن الحروب العنترية على مشايخ أهل السنة بهدف حماية الكويت وشعبها، وننصرف عن العدو الحقيقي المتربص بالكويت، وبكل الخليج العربي منذ عشرات السنين !

فهمنا أن للصفويين في الكويت سطوة وأي سطوة، وعلمنا أن لهم مليارات كفيلة بشراء الذمم والعقول، ولكن ليس إلى هذا الحد !

شيء عجيب.. جهود (خيانية) جبارة تبذل من عدة جهات، لصرف أنظار الشعب الكويتي، وباقي شعوب الخليج العربي عن الخطر الحقيقي المتربص بالخليج وأهله.

حتى لا ننسى -والنسيان آفة الإنسان- ننقل لكم بعضا من الأعمال الإرهابية التي ارتكبها عملاء إيران في الكويت (حزب الله وحزب الدعوة) ضد الكويت، حكومة وشعبا طوال الحقبة الماضية:

١٩٨٣م: عدة تفجيرات طالت عددا من السفارات ومطار الكويت الدولي و مركز مراقبة التحكم التابعة لوزارة الكهرباء والماء. وكالة الأنباء الكويتية أعلنت أن الإجمالي النهائي للخسائر البشرية هو ٧ قتلى و ٦٢ جريحا.

١٩٨٥م: تعرض الأمير الراحل الشيخ جابر رحمه الله لمحاولة اغتيال باءت بالفشل عندما كان في طريقه للذهاب إلى مكتبه في قصر السِّيف، وكانت هذه المحاولة عن طريق سيارة مفخخة، وقتل في تلك العملية اثنين من مرافقيه.

١٩٨٥م: قامت مجموعة من الإرهابيين بزرع عبوات ناسفة في كل من المقهى الشعبي في الشرق والمقهى الشعبي في السالمية. أسفرت هذه الأعمال

الإجرامية عن ٨ قتلى و٨٨ جريحا.

١٩٨٦م: استهداف مجمع نفط الأحمدي في جنوب الكويت بواسطة ثلاثة تفجيرات متزامنة.

١٩٨٧م: أصاب صاروخ إيراني مبنى النفط الرئيسي على الشاطئ الكويتي محدثاً تدميراً بليغا.

١٩٨٨م: اختطاف طائرة الجابرية، وهي العملية التي استغرقت ١٦ يوما، وتضمنت عملية قتل وحشية، راح ضحيتها المواطن الكويتي (السني) عبد الله الخالدي وإلقاء جثته من الطائرة.

يا شعب الخليج العربي..

يخاطبكم أمير المؤمنين ومزيل مُلْك المجوس سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: «لستُ بالخبّ، ولا الخبّ يخدعني».. أي بلغة العصر: «لستُ ماكرا متآمرا على أحد، ولكني حصين منيع ضد مكر الماكرين وتآمر المتآمرين».

أوقفوا الاعتداءات على مسلمي أراكان

مشاري الخلف– القبس الكويتية ٢٠١٣/٩/٢٦

أجمع المتحدثون في مؤتمر «الروهنجيا أزمة الضمير العالمي»، الذي أقيم أمس الأول في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان، على ضرورة بذل الجهات والمؤسسات المعنية بالبلاد الجهود المناسبة للفت انتباه المجتمع الدولي إلى قضية إقليم أراكان المضطهد، لوقف الاعتداءات والانتهاكات الوحشية التي يتعرض إليها المسلمون فيه.

وقالت منسقة المؤتمر رئيسة لجنة حقوق الروهنجيا جنان العنزي «الحزن يسيطر على قلوب الكثيرين من أمة المليار ونصف المليار مسلم، وهم يشاهدون الظلم والاستبداد بأعينهم»، متسائلة: هل هناك قيمة للاتفاقيات والمواثيق والدساتير في ظل الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان، مع استمرار الظلم والقهر والاستبداد؟

من جانبه، قال أمين الصندوق في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان المحامي محمد العتيبي «هناك العديد من النصوص التي تحمي الأقليات وحقوق الإنسان في العديد من الوثائق والإعلانات والاتفاقيات الدولية العالمية والإقليمية، التي لم تطبق على المسلمين في بورما، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، إلى جانب الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادرة عام ١٩٦٦، مع الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية الصادرة عام ١٩٦٦».

وتساءل: إلى متى سننتظر حتى تطبق الاتفاقيات والمواثيق الدولية في مجال حقوق الإنسان على المسلمين في بورما.

من جهته، طالب عضو الجمعية الكويتية للمقومات الأساسية لحقوق الإنسان فهد الضاعن بتحرك المجتمع الدولي لوقف المجازر المستمرة في بورما المنسية. بدورها، أبدت نائب رئيس لجنة المرأة والطفل في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان أمنة الجمعان استياءها وتذمرها الشديدين من الظلم والعدوان اللذين تتعرض لهما المرأة المسلمة في بورما، متسائلة: أين منظمات حقوق الإنسان في العالم من حرمان المسلمة في بورما من جميع حقوقها في الحياة، وسلبها حريتها وكرامتها.

مصالح مشتركة

من ناحيته، أكد الناشط في حقوق الإنسان الإعلامي احمد الشلقامي، وجود الكثير من الأسباب التي أدت بالمجتمع الدولي، وفي مقدمته بعض الدول العظمى، الى الصمت عن الانتهاكات والاعتداءات التي تقوم بها السلطات في بورما ضد المسلمين على مدار السنين الماضية، منها المصالح الاقتصادية والتجارية لها في بورما، بدءا من الولايات المتحدة والتي تنظر الى ما تمتلكه بورما من الغاز، والذي يصل الى نحو ٤ في المائة من الاحتياطي العام في العالم، ومرورا بالصين والتي

تـصمت بـسبب حجـم التبـادل التجـاري الـكـبير مـع الحكومـة البورميـة، والـذي يـصل الى نحـو ٤ مليـارات سنويا.

مغامرة التحرش بالنص الصوفي

محمد عبد الشكور – جريدة الوفد المصرية ٢٠١٣/١٠/٥

صـدر للـدكتور الـدكتور بليــغ حمـدي إسماعيـل الاسـتاذ بكليـة التربيـة ، جامعـة المنيـا كتـاب « مواجيـد ومقامـات الـصوفية .. مغـامرة التحـرش بـالنص الـصوفى » ، يبحـث فـى خفايـا المتـصوفة وعـوالمهم المـسكونة بالدهـشة والـسرية والغموض .

ويؤكـد المؤلـف فـى كتابـة علـى أن الولـوج إلى أكـوان التـصوف الإسـلامي يحتـاج إلى علـم وعمـل وموهبـة فطريـة يمنحهـا الله ـ عـز وجـل ـ لـصاحبها ، ويـذكر أهـل التـصوف أن عمـاده ثلاثـة أركـان هـي العلـم ،والزهـد ،والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، وألطـف مـا في التـصوف أنـه تربيـة وصـقل للأخـلاق والآداب الـسامية ، وأعـذب مـا فيـه أنـه تجربـة غـير قابلـة للتكـرار أو التـشابه بـل هـي تجربـة متفـردة متمـايزة لا تعـرف للاشـتراك سـبيلاً ولا للمـشاركة طريقـاً . ومـن يلجـأ إلى تعـرف أحـوال ومقامـات أهـل التـصوف عليـه أن يخطـو بحـذر ورفـق وهـو يرصـد ويـستقرئ ويتنـاول مواجيـدهم وأحـوالهم وأخبـارهم بعيـداً عـن مـا شـاب التـصوف مـن حكايـات المتـسامرين ونـوادر المـتعطلين وحجـج المتـنطعين ، وهـذا الـدخول الحـذر في أكـوان التـصوف والمتـصوفة الأجلاء يحتاج إلى قدر كبير وعظيم من الثقة .

وهـذا الكتـاب يحـاول أن يلـج بيـسر إلى أكـوان هـؤلاء المتـصوفة وعـوالمهم المـسكونة بالدهـشة والـسرية والغمـوض ، بالإضـافة عـن محاولـة الإجابـة عـن سـؤال مفـاده : لمـاذا يظـل المتـصوف ونـصه الـصوفي شـعراً أم نثـراً طرحـاً ثقافيـاً اسـتثنائياً تـسكنه المعرفـة ؟ وقـد يكـون أحيانـاً الـسؤال أهـم الإجابة؟

ويقـع الكتـاب في ثمانيـة فـصول كالتـالي :

تنـاول الفـصل الأول مقدمـة عـن التـصوف مـن حيـث المواضـعة اللغويـة ومـصادره، ومكانتـه في الإسـلام ، بينمـا تنـاول الفـصل الثـاني مـن الكتـاب الـذي جـاء عنوانـه الأبعـاد الـسياسية للتـصوف الإسـلامي ، الظـروف والأجـواء السياسية والاجتماعيـة الـتي ازدهـر التـصوف وتطـور في أثنائهـا . أمـا الفـصل الثالـث فتنـاول مقامـات الـصوفية مثـل الرضـا والتوكـل والوجـد والاصـطلاء والـصبر والابـتلاء . وجـاء الفـصل الرابـع بعنـوان جـدل اللاهـوت والناسـوت في التـصوف الإسـلامي ، بينمـا جـاء الفـصل الخـامس بعنـوان مقاربـات نقديـة في الـشعر الـصوفي وتنـاول دراسـة لـبعض نـصوص سـلطان العاشـقين ابـن الفـارض ، أمـا الفـصل الـسادس فكـان بعنـوان « الحـلاج عارفـاً » وتنـاول سـيرة وأشـعار الحـسين بـن منـصور الحـلاج . وجـاء الفـصل الـسابع بعنـوان « سـلطان العـارفين وإمـام المحـبين » وهـو عـرض مـوجز سـريع لحيـاة ابـن عربـي الـصوفية ، أمـا الفـصل الثـامن والأخـير فكـان بعنـوان « إشـكالية التـصوف في الخطـاب الـسلفي المعاصـر » وفيـه عـرض المؤلـف أوجـه الـصراع الخفـي بـين التيـارات الـسلفية وتيـار التـصوف الإسـلامي واختـتم الكتـاب بمجموعـة مـن المـصادر والمراجـع الـتي تم الاستعانة بها .

ويقـع الكتـاب في ثلاثمائـة وإحـدى وعـشرين صـفحة مـن القطـع المتوسـط وصـدر عـن دار كـارما للنشر والطباعة والتوزيع بالقاهرة.